المسيح في الوحي الإلهي

بحث شامل في عقيدة شخصيّة يسوع المسيح

مطبوعات ساعة الإصلاح

القس بسام مدني

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

المحتويات

تقديم

مقدمة

الجزء الأول: ألوهية المسيح

الفصل الأول: شهادة المسيح عن ألوهيته الفصل الثاني: شهادة الرسل لألوهية المسيح الفصل الثالث: ألقاب وصفات المسيح الألوهية أولاً: الألقاب المنسوبة له

ثانياً: الصفات المنسوبة له

الفصل الرابع: وجود المسيح الأزلي قبل التجسّد الفصل الخامس: معجزات المسيح الفصل السادس: أهمية الاعتقاد بألوهية المسيح

الجزء الثاني: إنسانية المسيح (ناسوته)

الفصل الأول: دلائل بشرية المسيح

الفصل الثاني: التجسّد

الفصل الثالث: ميلاده العذراوي

الفصل الرابع: تواضع المسيح

الفصل الخامس: مجد المسيح

الفصل السادس: عصمة المسيح

الجزء الثالث: العلاقة ما بين الطبيعتين

الفصل الأول: ابن الله وابن الإنسان

الفصل الثاني: انسجام الطبيعتين

الفصل الثالث: وظائف المسيح الرسمية الثلاث

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً: المسيح النبي

ثانياً: المسيح الكاهن

ثالثاً: المسيح الملك

الفصل الرابع: المسيح مكمّل نبوّات الوحي الإلهي

الخاتمة: حياة يسوع المسيح تحقق المخطط الإلهي المرسوم

ملاحق دراسية

١- المسيح بين نبوات العهد القديم وتحقيقات العهد الجديد

٢- المسيح في نبوة أشعياء

ترانيم مختارة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تقديم

لقد أصدرت ساعة الإصلاح كتابين في سلسلة عقائدية عنوان الأول: وحي الكتاب المقدس، وعنوان الثاني: الفداء والكفّارة في الكتاب المقدس. ونقدّم إلى قرائنا الأعزاء كتابنا الثالث: المسيح في الوحي الإلهي.

وهنا لا بد لي من ذكر الجهود الكبيرة التي قام بها كل من والدي الراحل الأستاذ ميشال نقولا مدني الذي نقل إلى العربية الجزء الأكبر من هذا الكتاب. وزميلي في العمل الإنجيلي القس منصور عطا الله الذي نقّح ما عرّب وحضّر باقي مواد هذه الدراسة الهامة. فالشكر لله تعالى اسمه لما أنعم به عليهما من صبر ومعرفة لإتمام هذا المشروع الهام. وأبدي شكري للسيد رضا حداد الذي ساهم في طبع هذا الكتاب وتحضير وتصميم الغلاف.

وإذ نصدر هذا الكتاب أرفع صلاتي إلى الله ليساعد كل قارئ بأن تؤدي دراسته لهذا الكتاب ليس فقط إلى زيادة معرفته العقلية بيسوع المسيح بل فوق كل شيء بأن يؤمن به إيماناً قلبياً لخلاص نفسه.

القس بسّام مدني

مدير ساعة الإصلاح

٢٠ آب / أغسطس ١٩٨١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة

يتساءل الكثيرون في أيامنا هذه قائلين: "ما هي المسيحية"؟ لكن قبل أن نتمكن من الإجابة بطريقة موضوعية على هذا السؤال لا بد لنا من البت في قضية ترتبط ارتباطاً حيوياً بالأمر ألا وهي الإجابة على السؤال: من هو المسيح؟

هناك اتفاق إجماعي بأن من دعي "بالمسيح" هو بالفعل إنسان حقيقي كان قد جال في عالم البشر، ويعود انتساب المسيحية ووجودها إليه، ثم إن الإجماع نفسه يؤكد بأن للمسيح تأثير بعيد المدى على مجرى التاريخ عبر الألفي سنة الماضية.

يقر الجميع بلا استثناء بكون المسيح أفضل أنموذج بشري إطلاقاً، وبأن تعاليمه هي أنقى وأسمى ما ورد إلى عالمنا، وكذلك أخلاقه وتصرفاته كانت أنزه ما في الوجود. ومع ذلك فمنذ أن وطأت قدما السيد المسيح أرضنا هذه وحتى يومنا هذا فإن الجدال حول شخصيته ومكانته بالنسبة للديانة التي أسسها لم ينته. ونجد بصورة خاصة أن الجدال مستمر فيما إذا كان يسوع هذا هو بالفعل الشخصية التي ضمته صفحات الكتاب المقدس، وفيما إذا كان اختلافه عن كافة البشر اختلافاً نوعياً في جوهره أم اختلافاً كميّاً في مرتبته؟

كانت مسألة البت بشأن هوية المسيح مسألة واجهتها الكنيسة منذ فجر تاريخها. وقامت الكنيسة بالبت في الأمر بتّاً قاطعاً عندما أكدت كونه ابن الله، أي الإله المتجسد بناءً على تعاليم الكتاب المقدس. وقد سجّل هذا المعتقد في قوانين الإيمان بصورة جازمة، ومنذ ذلك التاريخ، فإن جميع الطوائف المسيحية تؤكد على كون المسيح هو الأساس الوحيد للكنيسة وهو أيضاً ربّها.

الجزء الأول من الكتاب يتضمن عرضاً عميقاً وشاملاً لطبيعة يسوع المسيح اللاهوتية، وهذا المضمون ليس فقط ما قاله هو عن نفسه ورسله عنه فحسب، بل أن هناك فحصاً دقيقاً في معنى ألوهية والدلائل التاريخية والموضوعية على ذلك وعلى أن ألوهية تلك لم تكن شيئاً اكتسبه بجهده الخاص كإنسان غير عادي، بل إنه كان يتمتع بها قبل تجسده ومنذ الأزل.

أما الجزء الثاني فيشتمل على ستة فصول تتعرّض بأجمعها إلى ناسوت (إنسانية) المسيح وكيف أنه تمتّع بكافة المزايا والخواص التي للبشر بالرغم من أن أسلوب مجيئه كان معجزياً وقد عكس في حياته إلى جانب عجائبه الخارقة فضائل إنسانية وكمالاً أخلاقياً لم يتوفر في كافة الأنبياء والعظماء عبر التاريخ البشري.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والجزء الثالث فقد خصص للتدقيق في ذلك التوازن والانسجام والتكامل القائم ما بين جانبي شخصية المسيح اللاهوتية والإنسانية، وكيف أن ذلك لم يكن واضحاً فحسب ولكنه كان أمراً محتوماً لضمان إتمام عملية الفداء التي خطط لها الوحي الإلهي ومهّد لها عبر كتابات الأنبياء قبل قرون من مجيء المسيح. فبدون ذلك لم يكن ممكناً أن تتوفر في المسيح الخواص والصفات والإمكانات والمؤهلات لتتميم الخطة الإلهية للخلاص المذكورة في الكتاب المقدس والتي فيها تلتقي قدرة ورحمة ومحبة الله مع عدالته وقداسته تعالى.

القصد من هذا الكتاب إذاً هو تقديم البراهين والأدلة القاطعة والجازمة من الكتاب المقدس على كون المسيح هو بالفعل الإله الذي تجسد، ابن الله السرمدي الذي جاء إلى عالم البشر لتتميم عملية فداء بشر خطاة وهالكين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجزء الأول

ألوهية المسيح

الفصل الأول:

شهادة المسيح عن ألوهية

شهادة المسيح عن ألوهية هي بالطبع أهم شهادة بخصوص هذا الموضوع. فهو لم يكن يتمتع بشركة متواصلة بالله فحسب بل كانت لديه أيضاً قناعة واضحة بكونه، هو نفسه، ذو طبيعة إلهية. هذا ما نراه بوضوح منذ بلوغه الثانية عشرة من عمره، إن لم يكن قبل ذلك، حين أجاب عن سؤال أمه قائلاً: "لماذا كنتما تطلباني؟ ألم تعلما بأنه ينبغي أن أكون فيما لأبي" (لوقا ٢: ٤٩). كانت هذه العبارة في الواقع من التعابير الأكثر شيوعاً في تعليم المسيح. ثم إنه نسب لنفسه بكل وضوح مكانة مساوية لله الآب: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠).. وكذلك يذكر الإنجيل مكانة المسيح السماوية للآب كما جاءت في فصول بشارة يوحنا التالية: (٥: ٢٣، و١٢: ٤٤ و٤٥، و١٤: ٩) "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله" و"الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني، والذي يراني يرى الذي أرسلني" و"الذي رآني فقد رأى الآب".

المسيح وحده يكشف عن الله بحق: "كل شيء قد دفع إليّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يكشف لهم" (متى ١١: ٢٧). وفي مثل الكرّامين الأشرار كشف المسيح عن كونه الابن وارث الكرمة، معطياً لنفسه مركزاً أسمى من الأنبياء. فهو الذي رُفض وذُبح كما أنه هو الذي صار "رأس الزاوية". (متى ٢١: ٣٣-٤٥).

كان عمله مطابقاً لعمل الآب: "لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك" (يوحنا ٥: ١٩). وشهادة المسيح عن نبوته وعن شركته الخاصة مع الآب وألوهية كانت أمراً واضحاً لليهود. ففي إحدى المناسبات التقطوا حجارة وحاولوا رجمه بها، فقال لهم يسوع: "أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي منها ترجمونني؟ أمّا هم فأجابوا: "لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً" (يوحنا ١٠: ٣٢ و٣٣). وعندما اشتكوا عليه أمام بيلاطس قالوا: "لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله" (يوحنا ١٩: ٧).

وكلمات المسيح التي تفوه بها في الأسبوع الأخير من حياته على الأرض هي كلمات الله بالذات. فلو أن إنساناً عادياً نطق بها لاعتبره البشر مجدفاً، لكن يسوع حثّ تلاميذه على أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يكون إيمانهم به نفس الإيمان الذي لهم في الله: "أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي" (يوحنا ١٤: ١). كما أنه أخبرهم بأنه سينطلق إلى السماء ليعدّ لهم مكاناً وأنه سيعود ليأخذهم إليه. كما أنه كشف عن كونه "الطريق والحق والحياة" وأنه لا يمكن لإنسان أن يأتي إلى الآب إلاّ به، من يعرفه يعرف الآب، ومن يراه يرى الآب، فهو والآب واحد.

هو ذاهب إلى الآب وكل صلوات يرفعونها باسم يسوع تكون مقبولة. ووعد يسوع المسيح تلاميذه بأنه سيرسل إليهم الروح القدس الذي هو الأقنوم الثالث في الثالوث الأقدس. ذلك أن الروح القدس كان سيقوم بوظيفة المعزّي والرفيق والمعلم فهو الذي يحفظ تعاليمهم من الخطأ، وهو الذي يعطي البصيرة الروحية لكل المؤمنين. وكشف المسيح بأنه هو المصدر الحقيقي لحياة الكنيسة، وعلى كل مؤمن أن يكون متحداً به كما أن كل غصن حي يبقى متصلاً بالشجرة. هم لم يختاروه بل هو الذي اختارهم حتى أنه قد أصبحت بينهم وبين "العالم" هوة عظيمة. والعالم الساقط في حمأة الشر والخطية ببغض المسيح، ومن يبغض المسيح يبغض أباه أيضاً. وكشف يسوع عن أن كون كل الأشياء التي للآب هي له، وكل ما يطلب من الآب باسمه يعطى. فهو قد خرج من عند الآب وأتى إلى العالم، وكان مزمعاً أن يترك العالم ليعود إلى الآب.

في صلاته الشفاعية المدونة في الفصل السابع عشر من الإنجيل حسب يوحنا، طلب المسيح من الآب أن يمجد الابن (أي يسوع نفسه) وقد بنى طلبه هذا على أساس أن تمجيد الابن يؤول إلى تمجيد الآب أيضاً. ثم أننا في تلك الصلاة نرى بأنه نسب لنفسه سلطة منح الحياة الأبدية لجميع الذين أعطاه إياهم الآب، وهي الحياة الناتجة عن معرفة الله التي ترتبط بمعرفة يسوع بالذات. لكن يسوع ذكر أيضاً بأن المجد الذي طلبه من الآب هو نفسه المجد الذي للآب وهو أيضاً ذات المجد الذي شارك فيه الآب أصلاً قبل تكوين العالم.

وأثناء محاكمته أمام مجلس السبعين شهد يسوع المسيح جهاراً وعلانيةً بألوهية، وعندما تمت المحاكمة حكم عليه بالموت لأنه كان قد نطق "بتجديف" إشارةً إلى شهادته عن ألوهية. فقد سأله رئيس الكهنة: "أأنت المسيح ابن المبارك؟" (مرقس ١٤: ٦١). وأجاب يسوع: "أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء" (مرقس ١٤: ٦٢). "فمزّق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد سمعتم التجديف، ما رأيكم؟ والجميع حكموا عليه بأنه مستوجب الموت" (مرقس ١٤: ٦٣و٦٤).

وعندما أسند المسيح إلى تلاميذه الرسالة العظمى (أي المناداة بالإنجيل في سائر أنحاء العالم) بعد قيامته من الموت وقبل صعوده إلى السماء قال لهم: "دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القدس وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ١٨-٢٠).

نلاحظ من كلمات السيد المسيح هذه أنه أورد اسمه في لائحة أسماء الثالوث الأقدس، إذ أوصى بأن على المؤمنين به أن يعمّدوا بذلك الاسم واعداً إيّاهم بأن يكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر. وعندما نسب إلى نفسه "كل سلطان في السماء وعلى الأرض" كان يعني بأنه يملك القدرة على كل شيء. أما كونه مع أتباعه كل الأيام وإلى انقضاء الدهر فيعني كونه موجوداً أو حاضراً في كل مكان. ثم أن ممارسة المعمودية "باسم الآب والابن والروح القدس" يضفي صيغة في غاية الأهمية بالنسبة لهذه الفريضة المقدسة. ونلاحظ أن الصيغة هي صيغة الجمع (الآب والابن والروح القدس) ثلاثة أقانيم أو كيانات مميزة لكل واحد اسم خاص به. ثم نلاحظ بأنه لم يقل باسم الآب وابن وروح قدس بحذف أل التعريف عن أقنومي الابن والروح القدس، كما لو أن الأمر كان يخص أقنوماً واحداً له ثلاثة أسماء. فالأمر هو بعكس ذلك. كل أقنوم في الثالوث الأقدس سمّي بصيغة المفرد و"أل التعريف" كررت لكل منهم بصورة دقيقة وواضحة. فمع أن الأقانيم الثلاثة موحدون في طبيعة وصفة واحدة (أي الله) إلاّ أنهم يبقون مميزين كأقانيم الواحد عن الآخر. فما أكده يسوع المسيح في هذه الوصية هو أن إيمان أتباعه ومن يؤمنون بواسطة مناداتهم بالإنجيل مبني على اسم الله المثلث الأقانيم "الآب والابن والروح القدس". ومما لا شك فيه أنه قد أشار إلى نفسه في اسم "الابن" واضعاً نفسه على ذات المرتبة مع "الآب" و"الروح القدس" ذلك أنه معهما الإله الواحد السرمدي الكائن بذاته.

شهد يسوع المسيح بأنه يتمتع بصفة الألوهية، ولا بد لكل من يدرس العهد الجديد (أي الإنجيل) بطريقة موضوعية من أن يصل إلى نفس النتيجة. وهذا هو الانطباع السائد بين الجماهير الغفيرة من قراء العهد الجديد عبر العصور والأجيال.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني:

شهادة الرسل لألوهية المسيح

تقف شهادة من شاركوا في كتابة أسفار الإنجيل (العهد الجديد) في انسجام تام مع تعاليم المسيح وشهادته عن ألوهية. ظهر الملاك جبرائيل لزكريا وأخبره بأنه سيكون له ولامرأته أليصابات ابناً تسند إليه مهمة خاصة ألا وهي "لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً" (لوقا ١: ١٧). والملاك نفسه عندما كشف لمريم بأنها ستكون أماً للمسيح المنتظر أخبرها بأن ذلك الطفل "يكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا ١: ٣٢و٣٣). هذه المزايا لا يمكن أن تكون لأي كان ما لم يكن إلهاً بالفعل "اسمه يدعى يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى ١: ٢١). هذه مهمة لا يمكن لشخص أقل من الله بالذات أن ينجزها. والبشير متى عندما أتى على ذكر إحدى نبوات العهد القديم الخاصة بالمسيح قال: "هذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (١: ٢٢و٢٣) وهي النبوة مستقاة من نبوة أشعياء (٧: ١٤). أما المجوس (حكماء المشرق) الذين كانوا قد أعطوا بصيرة روحية معجزية بعد سفرتهم الطويلة سعياً وراء الملك الموعود به، فما أن وصلوا إلى بيت لحم مكان ولادة يسوع، "خرّوا وسجدوا له" (متى ٢: ١١). والركوع والسجود له بهذا الأسلوب ما هو إلاّ جهل وتجديف لو لم يكن المسيح متمتعاً بطبيعة إلهية.

شهد يوحنا المعمدان عن نفسه بأنه ليس سوى مجهّز وممهّد لطريق الآتي بعده، لا وبل إنه تخطى ذلك عندما صرّح بأن الآتي بعده أعظم منه بكثير حتى أنه لم يكن مستحقاً أن يحل رباط حذائه أي أنه لم يكن مستحقاً أن يكون خادماً له. وعندما ظهر المسيح وتعمّد بالماء على يده بعد إصرار ملّح، رأى يوحنا المعمدان "السموات مفتوحة وروح الله نازلاً عليه (أي على يسوع المسيح) وصوت الله الآب من السماء قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣: ١٧). وفي اليوم التالي أشار يوحنا إلى يسوع قائلاً: "هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" و"... الذي يعمّد بالروح القدس"، و"هذا هو ابن الله" (يوحنا ١: ٢٩، ٣٣، ٣٤).

نجد في مقدمة الإنجيل حسب يوحنا (١: ١) تصريحاً واضحاً لا يعتريه شك عن ألوهية المسيح: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله". وقد نسب الرسول يوحنا هذا (وهو غير يوحنا المعمدان) إلى المسيح يسوع أموراً لا تنسب لغير الله بكل ما في ذلك من معنى. فالكلمة وسيلة التعبير عن الفكر، ووراء كل كلمة تكمن فكرة خاصة. ونسبة الكلمة إلى الفكر هي بالذات نسبة المسيح إلى الله. الكلمة تكشف عن فكرة معينة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والمسيح يكشف عن الله بالذات. فالمسيح جاء ليظهر الله للبشر: "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر" (يوحنا ١: ١٨). إن أزلية المسيح كشف عنها في مضمون التعبير "في البدء" عند بدء أو خليقة العالم كان المسيح "موجوداً". الفعل هو بصيغة الماضي التام في اللغة الأصلية (اليونانية) وهو يبرز فكرة وجود المسيح يسوع الأزلي وقد عبّر عن ذلك أحد كبار اللاهوتيين بقوله: "الكلمة كان عند الله منذ الأزل، في رفقة الأب كأقنوم مشارك في اللاهوت (أي الألوهية)، ومع أنه كان هكذا أقنوماً مميزاً لم يكن كائناً منفصلاً عن الله فالكلمة كان الله".

في مقدمة الإنجيل حسب يوحنا اعتبر "الكلمة (المسيح)" كائناً قبل التاريخ. ليس ذلك فقط بل نرى "أن كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (العدد الثالث). أما في العدد الرابع عشر فنقرأ: "والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً". والبشير يوحنا نفسه في رسالته الأولى (٢: ٤) قال عن المسيح "قد جاء في الجسد"، فهو يريدنا أن ندرك بأن المسيح لم يكن مجرد رفيق الله الأزلي، بل إنه هو الله الأزلي بالذات. استعمل يوحنا كلمة "جسداً" ليشير بصورة عامة إلى الطبيعة البشرية بما تتضمنه من محدودية وضعف. كشف في مقدمة الإنجيل بكل بساطة عن حقيقة الله الأزلي وهو يأخذ وجوداً يشارك فيه الاختبار البشري العادي مع البشر. وبإيجاز فإن الله تجسّد في الإنسان يسوع المسيح "عظيم هو سرّ التقوى الله ظهر في الجسد" (١تيموثاوس ٣: ١٦).

وعندما جهر الرسول بطرس بشهادته العظمى لم يكن يعبّر عن مجرد معتقده الشخصي بل إنما كان يعبّر عن معتقد غالبية التلاميذ حين قال ليسوع: "أنت المسيح ابن الله الحيّ" (متى ١٦: ١٦). وهكذا نرى أنه مع مواصلة يسوع الكشف عن ماهية الله للبشر فإن توما أكثر التلاميذ تشككاً وصل إلى مرحلة السجود عند قدمي المسيح والاعتراف بالقول: "ربّي وإلهي" (يوحنا ٢٠: ٢٨). هذا القول قبله المسيح بلا تردد، ولذلك يمكن اعتباره تأكيداً مباشراً من المسيح نفسه وجزءاً لا يتجزأ من قناعته الشخصية بألوهية، وإن قيام الرسل بالمعجزات هو دليل إضافي على ألوهية المسيح. فالمعجزة التي شفى بها بطرس الرجل الأعرج الواقف على باب الهيكل، فعلها بطرس باسم المسيح إذ قال للرجل: "باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ" (أعمال الرسل ٣: ٦) وبالفعل مشى الرجل وزالت علّته. لكن ذلك أغاظ زعماء اليهود الذين اعتقلوا بطرس ورفيقه يوحنا وباشروا بمحاكمتهم. وفي معرض ردّ بطرس على اتهاماتهم واعتراضاتهم قال: "إن كنا نفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم فبماذا شفي هذا؟ فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم والذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً" (أعمال الرسل ٤: ٩و١٠). وعندما أخرج الرسول بولس الروح الشرير

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من امرأة قال: "أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها" (أعمال الرسل ١٦: ١٨). أما استفانوس أول شهيد مسيحي شهد قبل موته قائلاً: "أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله" (أعمال الرسل ٧: ٥٦).

شهد بولس في تعليمه مراراً وتكراراً لألوهية المسيح. وحالما اهتدى إلى المسيح ذهب إلى مجامع اليهود في دمشق وشرع يبشر بالمسيح قائلاً: "إن هذا هو ابن الله" (أعمال الرسل ٩: ٢٠). وقد كشف في رسالته إلى أهل كولوسي عن كون المسيح "صورة الله غير المنظور" (كولوسي ١: ١٥). كما أنه صرح بأن "فيه يحل كل ملء اللاهوت (أي الله) جسدياً" (كولوسي ٢: ٩). كذلك ذكر بولس إلى أهل كورنثوس بأن "الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (كورنثوس ٥: ١٩). وفي رسالته إلى أهل رومية عندما أشار إلى كون اليهود أنسباء المسيح ذكر موضوع ألوهية المسيح فقال: "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد" (٩: ٥). كذلك نجد بولس يحث المسيحيين في مقاطعة فيليبي على إتباع مثال المسيح في التواضع والخدمة ويقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله (أي مشاركاً كلياً في الطبيعة الإلهية أي للصفات التي يتمتع بها الله)، لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله (أي أنه لم يختر عن أنانية أن يبقى في تلك الحالة المباركة بينما يظل البشر تحت وطأة الخطية والبؤس). لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فيليبي ٢: ٥-١١). وهكذا أصبح إنساناً قابلاً لنفسه محدودية الطبيعة البشرية، قدّم نفسه وهو الإله المتجسّد كبديل عن شعبه. وهكذا أيضاً أنجز عمله الخلاصي في حمله للعقاب المفروض على خطاياهم (ألا وهو الألم والموت بالنيابة عنهم). ويضيف: "لذلك رفعه الله أيضاً (أي أن المسيح الإله المتجسّد رفع وليس المقصود هنا إضافة لطبيعته الإلهية فهي كاملة لا ينقصها شيء، بل أن الطبيعة البشرية المتواضعة التي أخذها المسيح على نفسه هي التي أعطي لها المجد والإكرام). ويتابع الرسول فيقول بأن الله الآب "أعطاه اسماً يفوق كل اسم" ألا وهو اسم "يسوع" (أي مخلص) "لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (التعبير رب يدل هنا على الربوبية أو الألوهية المطلقة). فإن أولئك الذين أوحى إليهم الله بكتابة العهد الجديد أشاروا إلى المسيح بتعابير وأوصاف وأسماء العهد القديم نفسها التي استعملت بشأن الله، فهم أشاروا إليه كـ "أدوناي" وهو الاسم العبري الذي يعني "رب" وكلمة رب تستعمل أيضاً عندما يكون الاسم العبري "يهوه" الذي يعني "الرب الإله".

عندما ننتقل إلى الرسالة إلى العبرانيين فإننا نجد بأن الكاتب ينسب الربوبية والألوهية للمسيح. يبدأ بالقول بأن الله كان قد كلّم البشر في الأزمنة القديمة (أي في أيام العهد القديم)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بواسطة الأنبياء مستخدماً أساليب متنوعة، ثم يواصل فيقول بأن الله كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة (أي حقبة العهد الجديد) في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين، الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عبرانيين ١: ١-٣).

أما الرسول يوحنا، كاتب سفر الرؤيا فيخبرنا في معرض وصفه للمدينة السماوية المقدسة "أورشليم الجديدة" بأنها لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها" (سفر الرؤيا ٢١: ٢٣). والتعبير أن "الله" و"الخروف" هنا هما مترادفان يتحدثان عن واحد وهو يسوع المسيح. قام جميع من أوحى إليهم الله بكتابة أسفار الإنجيل (العهد الجديد) بتسجيل تعاليم ومعجزات ومواعيد المسيح مفترضين واقع كلامه عن ألوهية وكانوا هم أيضاً أعظم وأنسب وأصدق شهود لألوهية إذ كانوا قد عرفوه عن كثب. قال عنهم المسيح: "وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء" (يوحنا ١٥: ٢٧). أما سجلات التاريخ منذ نشأة الكنيسة المسيحية فكلها تظهر أنهم قد قدموا شهاداتهم لسيدهم وربهم بكل أمانة وكثيرون منهم استشهدوا في سبيل إيمانهم بالمسيح يسوع.

وفوق شهاداتهم نجد شهادات أولئك المؤمنين الذين لم ينتسبوا إلى مجموعة رسل المسيح. فمثلاً نجد قائد الكتيبة الرومانية التي أشرفت على الصلب، إذ أبصر المسيح مصلوباً أعلن قائلاً: "حقاً كان هذا الإنسان ابن الله" (مرقس ١٥: ٣٩). وأما الأبالسة (الكائنات الملائكية الذين سقطوا وأصبحوا شياطين) والذين كانوا على معرفة بعظمة المسيح الإلهية قبل تجسده، فإنهم عندما أمرهم المسيح بأن يخرجوا من الأشخاص الذين كانوا قد سيطروا عليهم، قالوا فيما هم خارجون: "ما لنا ولك يا يسوع ابن الله. أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟" (متى ٨: ٢٩).

إن قيامة المسيح من الأموات هي البرهان القاطع الذي لا مهرب منه على كونه ذا طبيعة إلهية. لم يكن موت وقيامة المسيح رغم إرادته، بل على العكس كانا في نطاق قوته وخياره الثابتين. عندما تكلم المسيح عن حياته قال: "ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (يوحنا ١٠: ١٨). وهو كان قد تنبأ مراراً عن قيامته من الموت قائلاً: "وابن الإنسان يسلّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم.... ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم" (مرقس ٨: ٣١و٩: ٣١و١٠: ٣٣-٣٤، ولوقا ١٨: ٣٣و٢٤: ٧، ومتى ٢٠: ١٩و٢٧: ٦٣). ويشير بولس إلى القيامة كبرهان جازم على لاهوت المسيح فيقول: "تعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رومية ١: ٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث:

ألقاب وصفات المسيح الألوهية

أولاً: الألقاب المنسوبة للمسيح

"يسوع" هو الاسم الذي يعني مخلّص أو منقذ وهو ما نسبه الملاك للمسيح عندما كشف حقيقة مجيئه لكل من يوسف ومريم. قال الملاك ليوسف: "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم" (متى ١: ٢١) وقال لمريم: "ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع" (لوقا ١: ٣١). "يسوع" هو الصيغة اليونانية للاسم العبري "يشوع" الذي يعني "يهوه هو الخلاص". أما وقد دعي المسيح بـ "يسوع" فإن ذلك إنما عبّر عن مركزية المهمة الخلاصية التي جاء لينجزها.

واسم المسيح يعني الممسوح وكان اللقب الرسمي للمخلّص. وكثيراً ما استعمل كاسم علم، وهو يأتي من الأصل العبري "مشيح" أي "مسيّا" والذي أصبح "كريستوس" في اليونانية التي هي اللغة الأصلية للعهد الجديد. فاللقب "مسيح" يعني الممسوح من قبل الرب وهذا له أساس قوي ومتواصل في تاريخ الشعب العبري عندما كان يتم احتفال تتويج ملوكهم بالمسح بالزيت (راجع صموئيل الأول ٩: ١٦و١٠: ١ وسفر صموئيل الثاني ١٩: ١٠). فالملك كان يدعى أحياناً "مسيح يهوه" (راجع سفر صموئيل الأول ٢٤: ٦). إذن لقب "المسيح" هو للتذكير بأن الملك هو من أعلى طراز، أما الاسم المركب "يسوع المسيح" فالمقصود منه هو "المخلص الممسوح" أي المخلّص المتمتع بأسمى مكانة من وجهة نظر الله.

تبين لنا سجلات العهد الجديد حقيقة هامة هي أن يسوع تقبّل من الناس ما أسدوا عليه من أسمى الألقاب. فقد سمح لهم بأن يصفوه بما يوصف به الله. وعندما منع الآخرين من تقبّل ألقاب مثل "المعلم" أو "السيد" (متى ٢٣: ٨-١٠) نجده قد قبل لنفسه بأن يدعى بتلك الألقاب (يوحنا ٤: ٣١و٩: ٢)، بل إنه أكثر من ذلك امتدح من أعطوه إياها إذ قال: "أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك" (يوحنا ١٣: ١٣). وعندما كانوا يهيئون دخوله للقدس في موكب رسمي أرسل المسيح اثنين من تلاميذه ليأتيا بجحش وأمرهم بأن يقولوا لصاحبه بأن "الرب محتاج إليه" (مرقس ١١: ٣). ويدعى المسيح عبر صفحات العهد الجديد "سيدا" ليس بمجرد المعنى الذي فيه يقدم للبشر قسطاً من السلطة والشرف أو المكانة، بل بمعنى كونه حقّاً السيد الأسمى ومطلق السيادة في ملكوته. وهو ربّ المسيحيين المؤمنين به مثلما كان اليهود يؤمنون بأن يهوه هو الرب في أيام العهد القديم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قيل عنه في الإنجيل حسب (لوقا ٢: ١١و٦: ٥) "يولد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب" و"ابن الإنسان هو ربّ السبت". وفي الرسالة إلى فيليبي (٢: ١١و٤: ٥) "... يعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو ربّ لمجد الله الآب"، ثم "الربّ قريب".

في الرسالة الأولى إلى كورنثوس (٢: ٨) ذكر: "رب المجد" وورد في الإنجيل حسب (متى ١٥: ٢٢) "ارحمني يا سيد" وكتب بولس الرسول في الرسالة إلى رومية (١٠: ٩) "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت". ومن سفر أعمال الرسل (١٠: ٣٦) "يبشر بالسلام بيسوع المسيح هذا هو رب الكل". ويضيف سفر الرؤيا في (٤: ٨و٤: ١١و١٩: ١٦) ما يلي: "قدّوس، قدّوس، قدّوس الرب الإله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي". "أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وخلقت".

"وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب، ملك الملوك ورب الأرباب".

إذن اعتبر الوحي المقدس المسيح ربّاً للجميع كما للذين في السماء وعلى الأرض. له يجب أن تسجد جميع المخلوقات اعترافاً بسلطانه المطلق. وحده له الحق فينا والسلطان علينا لأنه الخالق والفادي.

استعمل الرسول بولس عادة اصطلاحاً تقديمياً في رسائله هو "الله أبونا والرب يسوع المسيح" كشهادة إيمان مسيحية لله (راجع الرسالة إلى رومية ١: ٧ والرسالة الأولى إلى كورنثوس ١: ٣والرسالة الثانية إلى كورنثوس ١: ٢والرسالة إلى غلاطية ١: ٣)، الصيغة المركبة هذه هي إشارة للإله الذي يعبده المسيحيون، وهي تشير لكل من الآب والابن في مساواة مطلقة. هكذا فإن الآب والابن هما متحدان معاً، دونما أي انفصال أو تفريق بينهما في وحدانية جوهرهما، ومع ذلك فإنهما يتمتعان باستقلال ذاتي، فبعض الأعمال تنسب للواحد دون الآخر، مثلاً في الرسالة إلى غلاطية (١: ١) نقرأ عن "يسوع المسيح والله الآب وربنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجل خطايانا". أما البركة الرسولية فهي كما يلي: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين" (٢كورنثوس ١٣: ١٤). ففيها يبقى اسم الرب يسوع المسيح مرتبطاً في مساواة مطلقة مع اسمي الله الآب والروح القدس كمصدر لكل بركة روحية.

كانت قد نسبت أسماء متنوعة وكثيرة لله في العهد القديم نسبها العهد الجديد أيضاً للمسيح. فالبشير متى عند تسجيله لولادة المسيح نسب إليه الاسم عمانوئيل إذ يقول: "وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (متى ١: ٢٢و٢٣). ففي نبوة أشعياء (٧: ١٤) نقرأ: " هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل". في العهد الجديد يبرز المسيح كملكنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفادينا في هيئة شخصية أزلية. ويقول الرسول يوحنا في معرض وصفه للرؤيا التي رآها عن عظمة المسيح المتسلط على كل شيء: "فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى عليّ قائلاً لي لا تخف أنا هو الأول والآخر، والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين آمين. ولي مفاتيح الهاوية والموت" (الرؤيا ٢٢: ١٣). وفي نبوة أشعياء (٤٤: ٦) نقرأ: "هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه، رب الجنود، أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيري". وكما رأينا فإن يسوع المسيح يدعى "ربّاً" مراراً وتكراراً في العهد الجديد. لكن هذا الموقف لا ينفرد به العهد الجديد وحده، فالعهد القديم، في معرض التنبؤ عن المسيح، أشار إليه بوضوح أحياناً بنفس اللقب. هذا ما نجده في مزمور (١١٠: ١) "قال الرب لربّي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك". (قابل هذا بما ورد في الإنجيل حسب متى (٢٢: ٤٤) حيث ينسب المسيح لنفسه تلك الإشارة من سفر المزامير. وكذلك نقرأ في نبوة ملاخي (٣: ١) "ويأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه".

نسب العهد الجديد ليسوع اسم "الله" أكثر من عشر مرات (راجع يوحنا ١: ١و١٨و٢٠: ٢٨ورسالة يوحنا الأولى ٥: ٢٠والرسالة إلى العبرانيين ١: ٨ ورسالة الرسول بطرس الثانية ١: ١وسفر أعمال الرسل ١٨: ٢٦و٢٠: ٢٨والرسالة إلى رومية ٩: ٥والرسالة الثانية إلى تسالونيكي ١: ١٢والرسالة إلى تيطس ٢: ١٣والرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٣: ١٦).

هذا ما يتفق عليه علماء تفسير الكتاب من شتى المذاهب هو أن يسوع، حسب كتاب العهد الجديد، هو نفسه ربّ العهد القديم. فكتبة العهد الجديد ينسبون للمسيح تعابير من العهد القديم هي في أصلها كانت تشير إلى "أدوناي" أو "يهوه" اسمي الألوهية في العهد القديم. (قابل نبوة أشعياء ٤٠: ٣ مع الإنجيل حسب مرقس ١: ٣ونبوة يوئيل ٢: ٣٢ مع سفر أعمال الرسل ٢: ٢٤والرسالة إلى رومية ١٠: ١٣ونبوة أشعياء ٤٥: ٢٣ مع الرسالة إلى فيليبي ٢: ١٠.... قابل أيضاً نبوة أرميا ٩: ٢٤ مع الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١: ٣١و١٠: ١٧ومزمور ٦٨: ١٨ مع الرسالة إلى أفسس ٤: ٨، ونبوة أشعياء ٢: ١٩ مع الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٤: ١٤وسفر الرؤيا ٢٢: ١٣).

علينا أن نلاحظ إذاً بأن المسيح يدعى في العهد الجديد بالألقاب التالية:

<u>في الإنجيل حسب متى:</u>

"يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم (١: ٢١)

"عمانوئيل، أي الله معنا (١: ٢٣)

"المسيح ابن الله الحي (١٦: ١٦)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"يسوع المسيح (١٦: ٢٠)

"ابن الإنسان (١٧: ٩)

"معلّم (٢٣: ١٠)

<u>في الإنجيل حسب لوقا:</u>

"يسوع الناصري، قدّوس الله (٤: ٣٤)

<u>في الإنجيل حسب يوحنا:</u>

"الكلمة (١: ١)

"كل شيء به كان (١: ٣)

"كوّن العالم به (١: ١٠)

"الابن الوحيد (١: ١٨، ٣: ١٦)

"ابن الله (١: ٣٤و ٤٩، ٢٠: ٢١)

"ملك إسرائيل (١: ٤٩)

"المسيح مخلّص العالم (٤: ٤٢)

"الخبز الحي (٦: ٥١)

"الباب (١٠: ٧)

"الراعي الصالح (١٠: ١١)

"القيامة والحياة (١٢: ٢٥)

"المسيح ابن الله الآتي إلى العالم (١٢: ٢٧)

"الطريق والحق والحياة (١٤: ٦)

"الكرمة الحقيقية (١٥: ١)

<u>في سفر أعمال الرسل:</u>

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"القدوس البار (٣: ١٤)

"رئيس الحياة (٣: ١٥)

"مخلّص (٥: ١٣)

<u>في الرسالة إلى رومية:</u>

"إلهاً مباركاً (٩: ٥)

<u>في الرسالة الأولى إلى كورنثوس:</u>

"قوة الله وحكمته (١: ٢٤)

"ربّ المجد (٢: ٨)

"رأس كل رجل (١١: ٣)

<u>في الرسالة الثانية إلى كورنثوس:</u>

"صورة الله (٤: ٤)

<u>في الرسالة إلى غلاطية:</u>

"فادي (٣: ١٣)

<u>في الرسالة إلى فيليبي:</u>

"ربّ (٢: ١١)

<u>في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:</u>

"ربّ الأرباب (٦: ١٥)

<u>في الرسالة إلى العبرانيين:</u>

"وارث لكل شيء (١: ٢)

"بهاء مجد الله ورسم جوهره (١: ٣)

"رئيس الخلاص (٢: ١٠)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"رئيس الإيمان ومكمّله (١٢: ٢)

"وسيط (١٢: ٢٤)

"رئيس كهنة عظيم (١٤: ٤)

<u>في رسالة بطرس الثانية:</u>

"المخلّص (١: ١)

<u>في سفر الرؤيا:</u>

"الرب الكائن (١: ٨)

"الكائن والذي كان والذي يأتي (١: ٨)

"القادر على كل شيء (١: ٨)

"الأول والآخر (١: ١٧)

"الحي (١: ١٨)

"الألف والياء والبداية والنهاية (٢١: ٦)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: الصفات المنسوبة للمسيح

نجد عبر صفحات العهد الجديد أن الخصائص والصفات الإلهية تنسب تكراراً للمسيح، ذلك لا يحدث على سبيل المجاملة كما في حالات امتداح مخلوقين أتقياء، بل إن ما ينسب إلى المسيح صفات هو من النوع الذي لا يمكن أن ينسب سوى إلى الله وحده. فيما يلي نتعرض لقائمة بتلك الأوصاف.

١- القداسة (الطهارة)

في الإنجيل حسب يوحنا (٦: ٦٩) نجد إقراراً مهمّاً أعلنه الرسول بطرس عن المسيح الذي آمن به: "أنت المسيح ابن الله الحي". وفي رسالته الأولى يقول بطرس عن سيده "لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر" (٢: ٢٢). ويصرح الرسول بولس بدوره فيقول عن المسيح: "لم يعرف خطية" (١كورنثوس ٥: ٢١)، أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيقول في المسيح: "قدّوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة..." (٧: ٢٦). وقد تحدث المسيح نفسه عن قداسته وكماله. ففي يوحنا (٨: ٢٩) يقول مشيراً إلى كمال أخلاقه وعصمته عن الخطأ بالنسبة لشريعة الله: "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه". وفي يوحنا (٨: ٦) تحدّى معارضيه الذين سعوا للتشكك في نزاهته قائلاً: "من منكم يبكتني على خطية". إضافةً إلى ذلك فإن الإنجيل يحدثنا عن إقرار الشياطين ألدّ أعدائه فيقولون عنه "قدّوس الله" (مرقس ١: ٢٤). هذه كلها اعتبارات مهمّة خاصةً وأن الكتاب المقدس لا يسمح بأن تضفى هكذا صفات من الكمال على أي من خلائق الله.

٢- الأزلية

مقدمة الإنجيل حسب يوحنا لها مقامها الفريد من جهة الكشف عن أزلية المسيح. ففي العدد الأول نرى تعريفاً مهماً للمسيح ككلمة الله المتجسّد: "في البدء كان الكلمة"، في نفس السفر هناك تصاريح واضحة على فم المسيح نفسه عن أزليته، فيقول عن نفسه: "قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن" (يوحنا ٨: ٥٨). ثم في صلاته الشفاعية الخاصة صلّى المسيح للآب قائلاً: "مجدّني بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يوحنا ١٧: ٥)، "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (العدد ٢٤) بالإضافة إلى هذا نجد مضمون النبوات التي تحدثت عن المسيح في أسفار أنبياء العهد القديم قبل مجيئه بمئات السنين. فالنبي أشعياء دعاه في سفره "أباً أبدياً" (٩: ٦) والنبي ميخا قال عنه: "مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (٥: ٢). إذاً المسيح هو ملك جميع الدهور.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣- مصدر الحياة: خالقها ومبدعها

تطرّق الوحي الإلهي إلى وصف المسيح كما يلي في الإنجيل حسب يوحنا:

- فيه كانت الحياة (١: ٤)
- أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي (١٤: ٦)
- أنا هو القيامة والحياة (١١: ٢٥)
- لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطي الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته (٥: ٢٦)

فليس المسيح إذاً مجرد مصدر للحياة فحسب، بل إنه هو الحياة الحقيقية ذاتها.

٤- الثبات المطلق وعدم التغيّر

توجز الرسالة إلى العبرانيين وتحسم الأمر هكذا: "يسوع المسيح هو أمسا واليوم وإلى الأبد" (١٣: ٨).

"وأنت يا ربّ (إشارة إلى المسيح) في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك، هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى" (١: ١٠-١٢).

٥- المقدرة المطلقة على كل شيء

لم يتردد السيد المسيح مطلقاً في الكشف عما لديه من قدرة وجبروت في الوقت المناسب. هذا لا يقتصر على مجرد إنجاز المعجزات والعجائب، وكذلك لا غموض في تصريحاته عن هذا الموضوع: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨: ١٢)، "كل شيء قد أعطي إليّ من أبي" (متى ١١: ٢٧).

كتب الرسول بولس بوحي من الروح القدس في رسالته التعليمية إلى المؤمنين في أفسس: "وأخضع (أي الله الآب) كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة" (أفسس ١: ٢٢). أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيعرّف المسيح هكذا: "... حامل كل الأشياء بكلمة قدرته...." (١: ٣). وفي سفر الرؤيا يخبرنا الوحي أن المسيح هو "الرب الكائن والذي يأتي القادر على كل شيء" (١: ٨)، والنبي أشعياء تنبأ عنه قائلاً فيه "الإله القدير" (أشعياء ٩: ٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكن الأمر لم يقتصر على مجرد بيانات، إنما ما قيل في المسيح سواء على فمه هو أو على فم غيره بوحي من الله كان دائماً مدعماً بالأعمال الخارقة للطبيعة والتي أجريت علناً وشهد لها الجميع، الأصدقاء والأعداء على السواء. فقد أقام الموتى (راجع يوحنا ١١: ٤٣و٤٤ ولوقا ٧: ١٤). وكشف أنه هو الذي سينجز عملية القيامة الأخيرة لجميع الأموات عندما قال: "فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يوحنا ٥: ٢٨و٢٩).

٦- العلم المطلق بكل شيء

قال التلاميذ للسيد المسيح: "الآن نعلم أنك عالم بكل شيء..." (يوحنا ١٦: ٣٠). والإنجيل المقدس يكشف لنا حقيقة علم المسيح بما يجري في عقول وأفئدة البشر. فعندما صرّح للمفلوج بغفرانه لمعاصيه كشف في نفس الوقت عن الاشمئزاز الصامت لمعارضيه بتصريحه هذا: "فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم" (متى ٩: ٤).

وهذا ما يسجله أيضاً البشير يوحنا: "لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع، ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان" (٢: ٢٤و٢٥).

"لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه" (٦: ٦٤).

"فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه" (١٨: ٤).

وورد في رسالة بولس إلى المؤمنين في كولوسي أنه "... المدّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (٢: ٣). وقال المسيح عن نفسه: "وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن" (متى ١١: ٢٧). إن ما يكشف عنه المسيح هنا هو في غاية الأهمية. فهو يفهمنا حقيقة أمر تفهّم ألوهية من الأساس، ذلك أن ذاته وكيانه اللاهوتيين هما على درجة شاهقة من العظمة حتى أنه لا يمكن لأحد غير الله نفسه استيعابهما، ليس ذلك فقط بل أوضح المسيح لنا من جهة أخرى بأن طاقة معرفته اللاهوتية هي غير محدودة كمعرفة الله الآب الكاملة والتامة.

كشف الإنجيل بكل تأكيد أن يسوع كان يتمتع بعلم وحكمة مطلقتين لا حدود لهما. قال أحد المفكرين بهذا الأمر: "إن أعظم الدلائل على قدرة المسيح الخارقة في فحص وتحليل وقراءة ما يتضمنه قلب الإنسان من أسرار هي ما كشف عنه بخصوص كل من نثنائيل والإمرأة السامرية وتلميذه الخائن يهوذا وتلميذه المغرور بنفسه بطرس. أخبر المسيح وأشار إلى وقائع المستقبل فتحدث عن موته وقيامته وعودته إلى الأرض". إن مسيرة التاريخ كانت مفتوحة أمام عينيه فهو قد تتبع متضمنات ما سبق وصار، وهو رأى مسبقاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأعمال المعجزية الخارقة التي كان سينجزها تلاميذه، كما أنه أخبر عن هزيمة إبليس العتيدة وانتصار ملكوت الله الذي يلازم ذلك. فالأرض والسماء، الأزل والأبد، الله والإنسان كل شيء مكشوف أمام عينيه.

٧- الوجود الكلي الذي لا يحده مكان ولا زمان

عرّفت بشارة يوحنا المسيح على أنه "الابن الوحيد الذي في حضن الآب" (١: ١٨). في ذلك تأكيد ليس فقط على أن المسيح ذو علاقة لاهوتية مباشرة بالله، بل أيضاً هنالك تشديد على أنه بالرغم من تجسده ووجوده على الأرض بين البشر فإن صلته الوثيقة ولحمته الحميمة مع الله بقيت دون تغيير أو تحوير. فعند تجسده لم يكن يعبر عن مجرد علاقته السابقة بالله، أي أنه كان مع الله، بل إنه بقي أيضاً مع الله. هذا في الواقع ما يعنيه العدد الأول من بشارة يوحنا والذي يقول دون إبهام: "في البدء كان الكلمة (أي المسيح) والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله". فالمسيح إذاً كان مع الله وبقي عند تجسده في صورة بشرية "كائن" مع الله. ويلقي يسوع نفسه ضوءاً على تلك الحقيقة في قوله: "وليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (٣: ١٣). قال المصلح الشهير يوحنا كالفن بصدد هذا النص من الإنجيل: "المسيح تجسد ولكنه لم يحصر أو يحجز ولم تقل قيمته، فابن الله نزل من السماء بطريقة معجزية خارقة للطبيعة في نفس الوقت الذي فيه بقي موجوداً في السماء. لقد اختار أن يولد من عذراء بطريقة عجيبة لكي يعيش على الأرض ويعلق على الصليب. لكنه في الوقت ذاته لم يكف عن أن يملأ الكون بوجوده كما كان الكون معمراً بوجوده منذ البداية".

ثم أننا نلاحظ بأن المسيح نفسه قد كشف عن حقيقة وجوده الكلي وغير المحدود عندما قال: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (متى ١٨: ٢٠). وكذلك في قوله: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). إن نص الإنجيل الأخير هذا ورد على لسان يسوع عندما كان مجتمعاً برسله على جبل الزيتون بعد قيامته من الأموات. وهو هنا يطمئنهم ويؤكد لهم استمرارية وجوده وقوته معهم، حتى أنه أزاح الستار على أنّ تأثيره عليهم ومعهم لن يكون تأثير معلّم أو نبي ميت ومقبور بل هو تأثير من هو حاضر وحي أبداً. أما كونه موجوداً في كل مكان فهذا يعني بأنه يبقى دائماً قريباً وسهل المنال قادراً على حماية وتعزية شعبه حتى لا يصيبهم أذى أو أسى غير ما يراه هو ويسمح به لأجل صالحهم ومنفعتهم. إنها لحقيقة عجيبة التي يبرزها لنا الإنجيل المقدس بأن حضور المسيح مع تلاميذه بعد قيامته من الموت كان أكثر وضوحاً من وجوده الجسماني قبل موته. فبعد قيامته أصبحت قناعتهم وعلاقتهم به قوة انتصارية دافعة بينما كان اعتبارهم له قبل موته دائم التأرجح والتشكك. أشار الرسول بولس إلى حقيقة وجود المسيح المطلق في كل مكان على هذا النحو: "ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس ١: ٢٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٨- الخلق

مرة أخرى نجد أن تقديم الإنجيل حسب يوحنا للمسيح واضح ومختصر ومفيد: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (١: ٣)، "كوّن العالم به" (١: ١٠). ما أوحى به الروح القدس عبر كتابة الرسول بولس ليس أقل شأناً في الشهادة للمسيح الخالق: "فإنه فيه (في المسيح) خلق الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل" (كولوسي ١: ١٦و١٧). أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فكتب عن الأمر مذكراً بما كان أنبياء العهد القديم قد سبق وقالوه عن المسيح القادم إلى العالم: "وأما عن الابن (فقال الله على لسان داود) كرسيك يا الله إلى دهر الدهور..." (عبرانيين ١: ٨). وهذا كان قد ورد في المزمور (٤٥: ٦). وفي (١: ١٠) يتابع كاتب الرسالة إلى العبرانيين اقتباسه من أقوال الأنبياء عن المسيح: "وأنت يا رب في البدء أسست الأرض، السموات هي عمل يديك، هي تبيد ولكن أنت تبقى..." وهذا ما ورد في مزمور (١٠٢: ٢٥). وكاتب هذه الرسالة هنا سعى ليس لمجرد تذكيرنا بما يقوله العهد القديم في المسيح بل أيضاً لإيقافنا على حقيقة كون العهد القديم يقول في المسيح ما لا يقال سوى في الله بالذات، فهو كان قد سبق وقال في المسيح: "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عبرانيين ١: ٣) وهذا ما ينطبق تماماً على ما ورد في رسالة الرسول بولس الأولى إلى المؤمنين في كورنثوس: "... ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء" (٨: ٦).

لقد كتب بصدد هذا الموضوع أحد كبار المفكرين المسيحيين يقول: "يخبرنا الكتاب المقدس بأن المسيح هو خالق الكون بأسره، ما هو منظور وما هو غير منظور. هذا لا يتضمن فقط ما في الكون الطبيعي والمادي من شموس ونجوم لا تحصى، بل أيضاً جميع أنواع الحياة الشخصية بما في ذلك الملائكة والبشر، الجميع مدينون له بوجودهم، وهو يشرف على كافة أرجاء الكون، حامياً بنيته من التفكك والانحلال والخراب. وتفيدنا كلمة الله بأن المسيح هو مصدر كل الأشياء ما يرى وما لا يرى، وهو الغاية النهائية لكل الخليقة. إذاً ليس المسيح هو خالق كل الأشياء فقط بل إنها جميعاً خلقت لأجله هو، فهو الآخر كما هو الأول، وهو النهاية كما هو البداية.

٩- السلطان والحق في مغفرة الخطايا

عندما شفى يسوع المفلوج وغفر له خطاياه تململ الكتبة متسائلين في سرّهم: "لماذا يتكلم هكذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحده" (مرقس ٢: ٧). لكن يسوع عرف ما في قلوبهم وبادرهم قائلاً: "ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا..." (مرقس ٢: ١٠). وأما المفلوج فقد أمره يسوع، بعد أن غفر له خطاياه،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن يحمل سريره ويذهب إلى بيته. وهكذا فإننا نرى أن المسيح ربط ما بين صلاحيته لمغفرة خطايا البشر وقدرته الإلهية على شفاء أمراضهم. وهو لم يتكلم عن مجرد السلطة على مغفرة خطية الآخرين، بل أكدّ أنه هو نفسه البديل الذي يحمل عقاب الخطية عنهم. وأعلن لتلاميذه بعد قيامته من الموت "بأن يبشّر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم" (لوقا ٢٤: ٤٧). أما شهادة يوحنا المعمدان الذي جاء ليمهد الطريق لمجيء المسيح فقد كانت واضحة وجلية أمام الجميع: "هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا ١: ٢٩)، والرسول بطرس بشّر الأمم قائلاً: "له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا... " (أعمال الرسل ١٠: ٤٣)، وكتب بولس الرسول بدوره: "... لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا... " (كولوسي ١: ١٤). وكتب الرسول يوحنا في رسالته الأولى: "... ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية..." (١: ٧). ليسوع المسيح إذاً المقدرة على مغفرة خطايا الآخرين لأنه هو نفسه كان مزمعاً أن يدفع ثمن ذلك الفداء الثمين.

١٠- مؤسس الخلاص

لدينا مجموعة بيانات وتصريحات في الكتاب المقدس تعلمنا بأن السيد المسيح هو مؤسس ومنبع الخلاص. وهذه البيانات والتصريحات وضعت بهكذا قوة وسلطان لتدعو الناس إلى الإيمان الحق بالإله الحقيقي الوحيد. وغاية الإيمان الحياة الأبدية. وورد في الإنجيل حسب يوحنا (٣: ٣٦) ما يلي: "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله". هذه شهادة يوحنا للمسيح أنه في الإيمان الخلاص وفي الخلاص الحياة الأبدية. أجاب بولس وسيلا في أعمال الرسل (١٦: ٣١) على رغبة سجانهما المتلهفة لمعرفة الحق: "آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك". أما المسيح نفسه فكلماته لم تكن أقل وضوحاً بهذا الشأن إذ يقول: "أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي" (يوحنا ١٤: ١).

يؤكد يوحنا أيضاً أن المؤمنين يرثون الحياة الأبدية، ولم يكن هذا ليحل لولا محبة الله الآب. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية... الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يوحنا ٣: ١٦و١٨). ويخبرنا يوحنا أيضاً بلسان السيد المسيح عن السبب الجوهري للإيمان. فما هي المحبة وما هو الخلاص والحياة الأبدية إن لم يؤكد لنا يسوع أنه حي إلى الأبد؟ فالإيمان به هو الأمل الوحيد للانتصار على الموت حيث يصرّح لنا السيد بهذا البيان الجبار كما ورد في يوحنا (١١: ٢٥و٢٦) وهو كما يلي: "أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد...".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولهذا، فالإيمان بالمسيح هو مرتبط تماماً بالإيمان بالله، وكلمة الله لا تفرق بينهما. ففي الإنجيل حسب يوحنا (١٢: ٤٤و٤٥) يأتي قول المسيح: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني"، وفي (٦: ٢٨-٤٠) من نفس الإنجيل المقدس ترد هذه العبارات: "فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟ أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي أرسله... أنا هو خبز الحياة، من يقبل إليّ لا يجوع ومن يؤمن بي لا يعطش أبداً... لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير". كذلك ورد في يوحنا (١٥: ٥و٦) ما يلي على لسان يسوع: "أنا الكرمة الحقيقية وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير. لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق". وأيضاً في (١٠: ٩) يقول: "أنا هو الباب، إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى". وفي (١٠: ٢٧و٢٨) يقول: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي. أما الصلاة الشفاعية المدونة في يوحنا (١٧: ٣) ففيها قال السيد المسيح: "والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته".

راجع أيضاً هذه الآيات ذات السلطة الفائقة التي وردت في الإنجيل حسب متى (١٠: ٣٢و١١: ٢٧و٢٨).

- كل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدّام أبي الذي في السموات.
- وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يكشف له.
- تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم.

ومن يوحنا (٨: ٢٤) التالي: "إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم".

ومن سفر الرؤيا (٢: ١٠) "كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة".

ومن أعمال الرسل (٤: ١٢) "وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص".

إن اسم "يسوع" هو من مصدر إلهي وهو يعادل "يشوع" بالعبرية ومعناه "يهوه المخلّص" أو "الله هو المخلّص". فقبل أن يأتي المسيح إلى عالم البشر وصفه الملاك الذي بشّر به هكذا "تدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم" (متى ١: ٢١) حتى أن يوحنا الرسول طرح بوضوح القصد الحقيقي من كتابته في قوله: "وأما هذه (أي الأمور المختصة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بيسوع) فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يوحنا ٢٠: ٣١).

إن هذه التصريحات تحمل في طياتها أعظم وأثمن وأكرم التعهدات. إنها بكل تأكيد لا تدع مجالاً للشك في أن الإيمان بالمسيح أمر ضروري للخلاص، وأنه بمعزل عنه لا يوجد أمل في الخلاص. إنه من المستحيل لأي كان الإتيان بتصريحات ساطعة وباهرة كالتي صرح بها السيد المسيح بخصوص شخصيته ومفعوله على حياة الآخرين. لقد قال أحد عظماء اللاهوتيين ما يلي بهذا الشأن: "من الواضح أن الله بالذات في عدم محدوديته لا يسعه أن يعد ولا أن يقدم شيئاً أعظم قدراً ولا أسمى منزلةً مما يهب السيد المسيح لشعبه، فهم موجهون للتطلّع إليه كمصدر كل بركة وواهب كل عطية صالحة وخالصة الكمال. إنها لأروع الصلوات وأكثرها تعبيراً تلك التي ختم بها الوحي الإلهي الرسالة إلى مؤمني مقاطعة غلاطية والتي تقول: "نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أيها الأخوة... آمين".

١١- موضوع الصلاة والعبادة

نقرأ بوضوح في الإنجيل عن مناسبات عديدة سجد فيها البشر للمسيح وعبدوه. فالبشير متى يذكر لنا ما يلي إذ أرشد الله المجوس (حكماء المشرق) إلى مكان ولادة مخلّص البشر في بيت لحم بفلسطين، فإنهم "خرّوا وسجدوا له" بمجرد رؤيتهم للطفل يسوع (٢: ١١). وعندما مشى المسيح على الماء فإن الذين كانوا في السفينة جاؤوا وسجدوا له قائلين: "بالحقيقة أنت ابن الله" (١٤: ٣٣)، سجدت له أيضاً المرأة الكنعانية قائلةً: "يا سيد أعنّي" (١٥: ٢٥)، وكذلك تلاميذه عندما ظهر لهم في الجليل بعد قيامته "فلما رأوه سجدوا له" (٢٨: ١٧).

ويذكر البشير لوقا في (٢٤: ٥١و٥٢) عن صعود المسيح إلى السماء "انفرد عنهم واصعد إلى السماء فسجدوا له".

أما يوحنا فيخبرنا عن سجود الأعمى للمسيح بعد أن أعاد إليه بصره وأمره بالاغتسال في بركة سلوام (٩: ٣٨)، وأيضاً عن تلميذه توما عند رؤيته لسيده بعد قيامته من الموت إذ سجد له قائلاً: "ربي وإلهي" (٢٠: ٢٨). وهو هنا لم يكتف بالسجود له بل أشار إليه كإلهه وربه الذي يتعبّد له. والجدير بالذكر أن المسيح لم يوبخه على ما تكلّم به، بل تجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء الناس من ملوك إلى تلامذة وأناس عاديين ومن كانوا بحاجة إلى شفاء من مرض أو علة جسدية، جميعهم قد تساووا في السجود له معترفين بذلك بألوهية. ففي كافة الظروف والمناسبات لم يعترض يسوع المسيح بتاتاً على سجود البشر له وعبادتهم إياه، بل تقبّل تلك المواقف البشرية كأمور ضرورية ولائقة به.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أعطى يسوع شهادات مهمة جداً تتعلق بألوهية وباستحقاقه للعبادة، وإذ أراد من المؤمنين به أن يضعوا ثقتهم به ويتّكلوا عليه اتكالاً كاملاً في كل أمور حياتهم جاءهم بهذا التأكيد قائلاً: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي هناك سأكون في وسطهم" (متى ١٨: ٢٠). وكذلك قبل صعوده إلى السماء قال لهم: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر".

إن تصريحات كهذه لا يمكن أخذها إلاّ من منطلق رغبة المسيح في الكشف عن ألوهية. فمن غير الله يستطيع أن يكون في كل مكان؟ من هنا كانت محتويات أسفار العهد الجديد ومواقف الكنيسة المسيحية الرسولية الأولى التي اتفقت في إصرارها على تقديم الإكرام والعبادة المختصين بالله وحده، ليسوع المسيح: "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب الذي أرسله" (يوحنا ٥: ٢٣). والمؤمنون عبروا عن ذلك ليس أثناء ظروف حياتهم العادية فحسب، بل حتى تحت أشد ويلات الاضطهاد كما دعا في صلاته القديس استفانوس عندما استشهد لأجل مناداته بإنجيل المسيح: "أيها الرب يسوع اقبل روحي". (أعمال الرسل ٧: ٥٩).

إن السجود والتعبد للمسيح هما من ركائز المناداة بالإنجيل ومن المتطلبات الرئيسية للذين ينتمون للمسيح ويتمتعون بخلاصه. من هنا طرح في الإنجيل أهم الأسئلة إطلاقاً: "ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" وقد وردت عليه ردود كثيرة جميعها تفيد بضرورة الإيمان بالمسيح والتعبد له. وفيما يلي نسرد بعضاً منها:

- آمن بالرب يسوع فتخلص (أعمال الرسل ١٦: ٣١)
- إن اعترفت بفمك بالرب يسوع خلصت (رومية ١٠: ٩)
- لأن كل من يدعو باسم الرب يسوع يخلص (رومية ١٠: ١٣)
- لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة... ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (فيلبي ٢: ١٠و١١)
- لتسجد له كل ملائكة الله (عبرانيين ١: ٦)

ثم إن هناك التصريحات الرسولية التي يصعب عدّها والتي سجلها الوحي الإلهي وكلّها تؤكد على ربوبية المسيح وكونه جديراً بأن يعبد. نورد منها على سبيل المثال ما يلي:

- ربنا ومخلصنا يسوع المسيح (٢بطرس ٣: ١٨)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

- مستحق هو الخروف أن يأخذ القدرة والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة... للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين (الرؤيا ٥: ١٢و١٣).

لقد شدد الرسول بولس على عقيدة الربوبية في بداية كل رسالة كتبها وهو دائماً يذكر الاسمين "ابن الله" و"الرب يسوع المسيح" بطريقة عفوية على أساس كونهما متساويين في إشاراتهما لألوهية المسيح. فإن الرب يسوع المسيح ابن الله هو الذي يهب النعمة والسلام. ومع ذلك فإن بولس لم يدع مجالاً للشك في أنه كان متمسكاً بوحدانية الله، فهو يقول: "ليس إله آخر إلاّ واحد" (١كورنثوس ٨: ٤-٦). هذا هو الإله الوحيد الذي قدّم بركته للمؤمنين بواسطة ما يعرف بالبركة الرسولية التي تقول: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين" (٢كورنثوس ١٣: ١٤). وما هذه سوى صلاة موجهة إلى المسيح لأجل نعمته وإلى الآب لأجل محبته وإلى الروح القدس لأجل شركته المقدسة.

هذه الحقائق التي يضعها الوحي الإلهي بين أيدينا لا يوجد تفسير مفهوم لها سوى ذلك الذي تمسكت به الكنيسة المسيحية عبر العصور، أي أن الله هو في ثلاثة أقانيم هم جميعاً واحد في الجوهر ومتساوون في القدرة والمجد.

لكننا إذا قارنّا تلك التعابير الإنجيلية التي تنسب الصلاة والعبادة للمسيح مع الأخرى التي تبرز وحدة الله وجلاله والمجد الذي ينفرد به دون سواه لا يكون أمامنا مفر من التسليم بأن الوحي الإلهي إنما يكشف عن أن العبادة هي لإله واحد وأن المسيح هو في نفس الوقت موضع عبادة وثقة المؤمنين. فكلمة الله تقول: "التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض. لأني أنا الله وليس آخر" (أشعياء ٤٥: ٢٢)، ثم تقول: "... ليس إله آخر إلاّ واحداً" (كورنثوس ٨: ٤)، وجاء أيضاً في نبوة أرميا (١٧: ٥) "ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه".

إضافةً إلى ذلك هناك تصريحات الوحي الإلهي الكثيرة التي تدين الوثنية والتعبد لغير الله. من هنا كان الأمر بسيطاً للغاية. فهي واحدة من اثنين: إما أن ألوهية المسيح التي يعلّمها الكتاب المقدس هي حق، وإما أن الكتاب المقدس هو مضلّل وليس من الله.

تضع كلمة الله اعتراف الإنسان بألوهية المسيح والارتكان له والاتكال عليه اتكالاً مطلقاً كالمخلّص الوحيد على مرتبة عالية جداً وهذا الاعتراف اعتبر دليلاً على صدق انتماء الفرد لله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٢- ديّان كل البشر

إن موضوع الدينونة النهائية يشغل مكاناً مهماً ضمن تعليم يسوع المسيح. فهو لم يشدد على أن دينونة البشر واقعة فحسب، بل إنه أكد على أن المسيح هو بالذات الذي سيقوم بدور الديّان. فهو الذي سيصدر الأحكام النهائية على كل بشري وهو الذي يقرر المصير الأبدي لكل منهم. فقد قال: "لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرم الآب... إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون... فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يوحنا ٥: ٢٢-٢٩).

ربما يكون الفصل الخامس والعشرون من الإنجيل حسب متى أهم نص في الوحي الإلهي فيما يخص التعليم عن نهاية العالم. وهو يوجه أنظارنا إلى كون المسيح الملك الديّان، فيقول: "متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذٍ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم... ثم يقول أيضاً للذين عن يساره اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته... فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية" (عدد ٣١-٤٦).

لقد أكد السيد المسيح على تلك الحقيقة بكونه الرب الديّان الذي بيده مصير البشر منذ بداية خدمته الجمهورية فعندما ألقى عظته الرسمية الافتتاحية لتلك الخدمة (المعروفة بالموعظة على الجبل) فإنه قال لجماهير مستمعيه: "ليس كل من يقول يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون في ذلك اليوم يا رب، يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذٍ أصرّح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (متى ٧: ٢١-٢٣).

ورسل المسيح هم أيضاً أفادونا بالحقيقة عينها، فالرسول بطرس قال عن يسوع: "هذا هو المعيّن من الله ديّاناً للأحياء والأموات" (أعمال الرسل ١٠: ٤٢). والرسول بولس قال: "لأنه لا بد وأننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً" (٢كورنثوس ٥: ١٠). وهذه لم تكن قناعات الرسل فحسب بل أن الكنيسة المسيحية تمسكت بها مضيفةً إياها إلى لائحة معتقداتها الأساسية، كونها قد ضمنت منذ البداية أن المسيح آتٍ لدينونة جميع البشر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خلاصة القول هي أنه من الواضح أن الرب يسوع عبر مختلف نشاطاته لم يتردد في أن ينسب إلى نفسه أسمى امتيازات الألوهية. فهو لم يقم بعمل ذلك فحسب بل إنه رحّب بما نسبه له الآخرون من ميزات الربوبية وألقابها الجوهرية مثل: القداسة، الأزلية، السلطان على مغفرة الخطايا، القدرة على افتداء حياة الناس، الحق في أن يصلّى إليه ويعبد، وسلطان الحكم النهائي على مصير البشر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع:

وجود المسيح الأزلي قبل التجسد

في سلسلة من البيانات المتتابعة والهامة جداً يبلغنا السيد المسيح أموراً جوهرية عن نفسه. لقد حرص كل الحرص على أن يعرفنا بأن وجوده لم يبدأ عند ولادته في بلدة بيت لحم، إنما هو "أتى" أو "نزل" من السماء إلى الأرض، وأنه "أرسل من قبل الآب". فمن الواضح أنه كان موجوداً قبل ذلك. تلك البيانات التي نحن بصددها لا تمثّل مجرد شهادة فريدة لمهمته الإلهية على الأرض، بل إنها تشهد أيضاً لأصله السماوي. إنها تطرح المسيح علينا ليس فقط كأعظم بني البشر بل كمن سبق وجوده عملية تجسده. إن إشارات أزليته وسرمديته هي واضحة، وتؤكد أنه لم يكن لوجوده بداية ولن تكون له نهاية، إنه هو البداية والنهاية. إن تصريحات السيد المسيح هذه نبعت عن وعيه وإدراكه لوجوده الأزلي. هذه القناعة عنده لم تكن في حاجة لأي دعم يتعدى ذلك القادم "من السماء" أو "من الآب". أما تلك الحقيقة فيدعمها الاستعمال الدائم للقب "ابن الإنسان" ضمن تلك البيانات، ذلك اللقب الذي استنتجنا في الفصل الثالث بأنه يشير فيما يشير إلى وجود المسيح السابق للتجسّد، وهكذا فإن المسيح يضع نفسه في مكانة أعلى وأهم من مكانة أصله البشري والأرضي. وهذا ما يفسر لنا كلام المسيح للبشر عن الأمور الروحية السامية طالباً إليهم أن يكيفوا حياتهم بمقتضى تعاليمه الهامة. وهذه بعض النصوص الكتابية التي تدعم ما أتينا على ذكره:

- لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمّل.

- لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فإني جئت لأفرق الإنسان ضدّ أبيه والابنة ضد أمها، والكنّة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته. (متى ٥: ١٧و١٠: ٣٤-٣٦). ليس المقصود هنا تسبيب الخصام بحد ذاته بل إن حياة الإيمان الجديدة تتسبب في عداء ومعارضة لأصحابها لدرجة أنهم يصبحون منبوذين من قبل أهلهم ومجتمعهم غير المؤمن.

- لنذهب إلى القرى المجاورة لأبشّر هناك أيضاً لأني لهذا خرجت.

- لا يحتاج الأصحّاء إلى طبيب بل المرضى. لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة.

- لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين.(مرقس ١: ٣٨و٢: ١٧و١٠: ٤٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

- لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك. (لوقا ١٩: ١٠).

ومن بشارة يوحنا النصوص الكتابية التالية:

- ليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء.
- الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع والذي من الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع- وما رآه وسمعه به يشهد... لأن الذي أرسله الله بكلام الله يتكلم. فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً...
- لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب... لأني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني.
- أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم.
- خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم إلى الآب. (٣: ١٣، ٣: ٣١-٣٤، ٦: ٦٢، ٨: ١٤و١٦، ٨: ٢٣، ١٦: ٢٨).

وتجدر الملاحظة بأن يسوع المسيح لم يصرح فقط عن وجوده قبل مجيئه إلى العالم، بل أيضاً بأنه كان موجوداً منذ الأزل. هذا ما نره في النصوص الإنجيلية التالية حسب يوحنا:

- قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن.
- والآن مجدّني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.
- ... لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.... (٨: ٥٨، ١٧: ٥، ١٧: ٢٤).

هنا نجد دلالة قاطعة بأن علة وجوده هي من ذاته وليست من مصدر خارجي. هذا ما يذكرنا بما ورد في التوراة في سفر الخروج (٣: ١٤) "أهيه الذي أهيه" وهو تعبير يشير إلى عظمة الله وجلاله وليس فقط إلى وجوده. "أهيه" أو "يهوه" هو الاسم العبري لله والمترجم في العربية بـ "الرب". والترجمة الحرفية للتعبير "أهيه الذي أهيه" هي "الكائن الذي هو كائن". وهو الاسم الذي يشدد على كون الله هو وحده الكائن الأزلي بمطلق ما في ذلك من تعبير. فهو وحده الذي يتصرّف بحرية واستقلال مطلقتين. هذا ما أراد الله أن يعرّف نفسه به لعبده موسى. ويسوع هنا ينسب لنفسه ذات الاسم "الكائن الذي هو كائن" أي الله الكائن بذاته منذ الأزل. نجد نفس المعاني فيما ينسبه سفر الرؤيا للمسيح حيث يتكلم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يوحنا الرائي على لسان يسوع فيقول: "أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر" (سفر الرؤيا ٢٢: ١٣).

لم يكشف يسوع إذاً عن وجوده السابق للتجسد فحسب، بل إنه أيضاً كشف عن أن ذلك الوجود هو أزلي. هذا يطابق تماماً بيانات الآخرين عنه في الإنجيل (العهد الجديد)، فيوحنا المعمدان قال عن المسيح: "يأتي بعدي رجل صار قدّامي لأنه كان قبلي" (يوحنا ١: ٣). بالطبع لم يكن المقصود هنا أن يسوع ولد قبل يوحنا المعمدان لأن يوحنا كان قد ولد قبل يسوع ببضعة أشهر، ولكن المقصود بالتعبير "صار قدّامي" الإشارة إلى رتبة المسيح الأكثر سموّاً وارتفاعاً عن رتبة يوحنا. هذا ما قصد به تماماً استعمال تعبير "كلمة" في إشارة الإنجيل المبدئية للمسيح كما ذكرها البشير يوحنا. فهو ذو الكيان السابق المعادل للآب من جهة كل شيء بما في ذلك عملية الخلق. يسوع المسيح هو الأساس الذي "صار جسداً وحلّ بيننا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً" (يوحنا ١: ١٤).

أما بولس الرسول فيعطينا ما يمثل قمة الحق الإلهي المكشوف للبشر فيقول: "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلّص الخطاة" (١تيموثاوس ١: ١٥). ويكتب أيضاً إلى المؤمنين في كولوسي فيقول: "فيه (أي في المسيح) خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل" (كولوسي ١: ١٦و١٧)، وكتب بولس أيضاً عن المسيح إلى تلميذه تيموثاوس قائلاً: "الله ظهر في الجسد" (١تيموثاوس ٣: ١٦).

أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيقول: "يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين ١٣: ٨)، فالمسيح بقي "هو هو" دون تغيير مع كل تغيير طرأ على غيره. "هو هو" في هذا الجيل الحاضر كما في الماضي القريب أو البعيد. "هو هو" في المستقبل أيضاً، في هذا المسيح الثابت، الذي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران، يجد المؤمن سنده وملجأه الأبدي الأكيد.

هذه البيانات لا تقتصر على كتابات العهد الجديد (الإنجيل). هناك نبوءات كتب الأنبياء في العهد القديم بخصوص المسيح المنتظر والتي سبقت مجيئه بمئات السنين، تلك النبوءات لم تتحدث عن مجرد ولادته المتوقعة كإنسان كامل بل إنها أيضاً أكّدت حقيقة وجوده قبل مجيئه إلى الأرض. لكنها أيضاً أظهرت أن وجوده السابق يرجع إلى الأزل وقبل أن يوجد الزمن نفسه. هذا ما وضّحه النبي ميخا الذي كتب سفره حوالي سبعمائة عام قبل مجيء المسيح. ففي معرض نبوته عن مكان مولد المسيح يقول: "أما أنت يا بيت أفراته وأنت صغيرة بأن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا ٥: ٣). والنبي أشعياء الذي عاش في نفس الفترة التي عاش فيها النبي ميخا تحدث واصفاً ذلك المسيّا (المسيح المنتظر) فقال بأنه يكون "عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (أشعياء ٩: ٦).

يبرز يسوع المسيح عبر كل التاريخ البشري كالمنتظر مجيئه قبل مئات السنين. لم تكن هناك نبوءات ولا توقعات لغيره من الشخصيات التاريخية لأنه لم يكن كالإسكندر الكبير أو نابليون أو واشنطن أو غيرهم من القادة الذين لم ينتظرهم أحد في أوقات وأمكنة ظهورهم. وحتى قبل وجود الأنبياء أنفسهم قطع الله الوعد بمجيئه، فبمجرد أن وقع أبوانا الأولين آدم وحواء في خطية العصيان وكسرا وصية الله جاء الوعد بقدوم المخلّص... فقد أخبر الله إبليس المتمثل بالحية الخادعة بأن نسل حواء "هو يسحق رأسك" (تكوين ٣: ١٥). وهذا ما تحقق في عمل المسيح الكفاري وانتصاره التاريخي الساحق على إبليس. ولكن على مر الزمن تتالت المواعيد والبيانات عبر أنبياء الله بمجيء المسيّا والمخلّص المنتظر، حتى أنه في عصر ولادة المسيح من مريم العذراء ومجيئه إلى العالم كان هناك شعور وتوقع عام بقرب مجيئه، حتى أن أسلوب وموضع ولادته كانا واضحين لمنتظري تحقيق مواعيد الله.

وهكذا فإن يسوع المسيح كان يقدّم دائماً كمن كان موجوداً قبل أن يأتي إلى عالم البشر. فقد وصف في الأسفار المقدسة كمن "نزل" من السماء إلى الأرض، وكمن شارك الآب في مجده منذ الأزل لا وبل كمن "خرج من عند الآب" (يوحنا ١٦: ٢٨). أي كمن هو في أوثق وأهم المعاني واحد مع الله. كلماته ذاتها لا تترك مجالاً للشك في أنه يعتبر نفسه زائراً للأرض من عالم أسمى وبأنه جاء في مهمة سماوية خاصة على الأرض لإنقاذ وفداء بني البشر. إذاً وباختصار وتحديد واضح جاء المسيح لخلاص قوم ضالين وهالكين.

جليّ إذاً أن موضوع وجود المسيح الأزلي قبل التجسد له ارتباط حيوي للغاية بأي مفهوم لائق لشخصه. هذا ما عبّر عنه أحد كبار المفكرين واللاهوتيين عندما قال: "في دراستنا ليسوع المسيح من المهم جداً أن نتفهم حياته على ضوء وجوده السابق لقدومه لعالم البشر. إن أهمية ذلك هي في أن نضع دائماً نصب أعيننا أن حقيقة كون تجسده لم تكن مجرد ولادة رجل عظيم، لأن تجسد المسيح يعني دخول الله إلى حيّز ومحيط الوجود البشريين. وهكذا نكون على إدراك مستمر بأنه في يسوع المسيح نلتقي وجهاً لوجه مع الإله المتجسد. ومن جهة أخرى فإن وعينا إلى هذا الأمر من شأنه أن يولد فينا تقديراً لائقاً للخدمة التي جاء للقيام بها من أجلنا. إنه من باب المستحيلات أن يكون مفهومنا للمسيح يتفق مع عظمة ما قام به ما لم ندرك بأن ابن الإنسان قد جاء ليس لأن يُخدم بل ليخدم ويقدم حياته فدية عن كثيرين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس:

معجزات المسيح

معجزات السيد المسيح هي برهان قاطع على ألوهية. إن تعريف المعجزة حسب مفهوم الوحي الإلهي هو عمل أو حدث علني أُجري بقوة الله المباشرة بقصد إثبات صحة رسالة الرسول. لكن المعجزات التي قام بها السيد المسيح تختلف من حيث طبيعتها ومداها وأسلوبها عن المعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء والرسل. وأساس الاختلاف هذا هو أنه بخلاف الوضع مع الأنبياء والرسل فإن المسيح حقق ما حققه من أعمال معجزية بقوته هو لا بواسطة قوة خارجة عنه. عندما تحققت المعجزات على أيدي الرسل والأنبياء أصرّوا دائماً على نكران كون ما عملوه راجعاً إلى قوتهم الشخصية. مثلاً عندما انشطرت مياه البحر الأحمر وعبر شعب الله على اليابسة في قلب المياه لم يتردد كليم الله موسى في أن ينسب العمل لله (خروج ١٤: ١٣). وهذا أيضاً كان موقف يشوع بن نون (يشوع ٣: ٥) وإيليا (الملوك الأول ١٨: ٣٦) والكثيرون من رجالات الله الذين عملوا العجائب. وهذا ينطبق أيضاً على أيام العهد الجديد. فعندما شفى الرسولان بطرس ويوحنا الرجل الأعرج الواقف على بوابة الهيكل كان ردّهما على تعجّب الجموع التي شاهدت المعجزة هكذا "ما بالكم تتعجبون من هذا؟ ولماذا تشخصون إلينا وكأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟" (أعمال الرسل ٣: ١٢). وعندما شفى بولس مريض في مقاطعة ليسترا وشرع الناس بتقديم ذبائحهم له ولزميله برنابا سارع برفض ذلك وبإعطاء المجد لله قائلاً: "نحن أيضاً بشر تحت الآلام مثلكم" (أعمال الرسل١٤: ٥). لكن عندما شفي المسيح المرضى وأخرج الأرواح النجسة أو أقام الموتى أو أوقف هيجان البحر، فإنه قام بكل ذلك بقوته غير المحدودة. وقد كشف عن تلك الحقيقة بدون تردد قائلاً: "... الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي...." (يوحنا ١٠: ٢٥). "إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه" (يوحنا ١٠: ٣٧و٣٨). لقد جاء تلميذا يوحنا المعمدان ليسألاه عما إذا كان هو المسيّا المنتظر أم لا، أجابهم المسيح قائلاً: "... اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران: العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصمّ يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشّرون..." (متى ١١: ٤و٥). الله هو الذي أقرّ ونظّم قوانين الطبيعة وهو وحده يقدر أن يغيرها أو يعطلها كما يشاء. لقد أبرز المسيح قوته وعظمته وجلاله في كل مرة أجرى فيها معجزة مورداً بذلك مرئياً عن ألوهية.

إن عدد المعجزات التي قام بها المسيح كان كبيراً جداً وقد سجّل الإنجيل حوالي أربعين منها وكانت بمثابة أمثلة لإبراز قوة المسيح الشفائية أو مقدرته على إقامة الموتى والتسلط

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على قوى الطبيعة. وهناك إشارات في الإنجيل إلى أن الكثير من تلك المعجزات لم تسجّل. (راجع متى ٤: ٢٣و٢٤ ويوحنا ٢٠: ٣٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس:

أهمية الاعتقاد بألوهية المسيح

يعلّم الكتاب المقدس ألوهية المسيح بجلاء ووضوح. وهذا الأمر مفروغ منه بالنسبة لكل من يؤمن بأن الكتاب هو كلمة الله. لا يوجد مجال للجدل في أن يسوع المسيح عرّف عن نفسه في الإنجيل على أنه الله المتجسد. ومن المؤكد بأن البشر الذين اختارهم الله لتدوين سجلات العهد الجديد كانوا يتمسكون بهذه الحقيقة الهامة والسامية ولم يترددوا في عبادة المسيح كالله. ثم أن الكنيسة المسيحية عبر العصور بكافة طوائفها تمسكت بألوهية المسيح الذي تتعبد له. هذا واضح من كافة السجلات العقائدية، من قوانين الإيمان إلى الترانيم الروحية والكتابات التعبدية. ففي كتابات وسجلات كل جيل وقرن نجد أن التمسك بألوهية المسيح هو عقيدة كل من قرؤوا سجلات الوحي الإلهي وتبنّوا تعاليمها.

إن إنكار ألوهية المسيح واعتباره مجرد معلّم أو نبي عظيم يتناقض مع مضمون الوحي الإلهي. فإنكار تعاليم الوحي الإلهي يبعد الإنسان عن منبع الحكمة والحق ويدفعه إلى تفاسير عقلانية سطحية لأمور لا يمكن فهمها إلاّ بالحكمة الروحية التي أوحى بها الله. فالحياة كل الحياة تكمن في هذا الإدراك الروحي والاعتراف المخلص بألوهية الفادي. هذه هي الحياة الأبدية أن يؤمن البشر بالمسيح المخلّص. إن عدم وجود هذا الإيمان الكتابي بالمسيح يقود إلى موت روحي أبدي. المسيح هو الحياة ولذلك فإن "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا ٣: ٣٦).

إن التمسك بألوهية المسيح حسب تعليم الكتاب المقدس هو أمر ضروري للغاية بحيث يعتبر المقياس الأساسي للتمييز بين الحق والباطل وهذا ما يوجه انتباهنا إليه الرسول يوحنا في قوله: "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح. هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم... كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي والآن هو في العالم" (رسالة يوحنا الأولى ٤: ١-٣).

يشدد الرسول بولس على العقيدة الكتابية الصحيحة بقوله: "ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع ملعوناً وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس" (١كورنثوس ١٢: ٣). إذاً يعرفنا بولس بأن الذي استنار من الروح القدس يعترف بالمسيح يسوع كربّ ومخلّص وهذا يعني أنه يؤمن بألوهية المسيح. فالفرد الذي يتأمل بيسوع بمجرد عينيه غير

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المستنيرتين من الروح القدس لا يرى فيه سوى إنسانيته. وقد يصل إلى الإقرار بأن المسيح كان رجلاً عظيماً وبأن مبادئه سامية للغاية. هذا كل ما يمكن لإنسان غير مستنير أن يرى في المسيح. لكن ذلك غير كافٍ لأنه نصف الحقيقة. وحالما يجدد الروح القدس الإنسان وينير بصيرته الروحية فإذ ذاك يرى نفسه خاطئاً أمام الله ومحكوماً عليه بالقصاص، ويرى في نفس الوقت بعين الإيمان الجديدة أن يسوع المسيح هو حقاً ابن الله المتجسد الذي صُلب لأجل خطاياه وقام من الأموات وهو جالس الآن عن يمين الله الآب بكل سلطان وعظمة. لقد كتب أحد كبار لاهوتيي القرن التاسع عشر عن هذه الحقيقة قائلاً: "كل من يؤمن بأن المسيح هو ابن الله، أي كل من يؤمن بأن يسوع الناصري هو الله الذي كشف عن نفسه في الجسد، ويحبه ويطيعه فإن هذا الإنسان قد ولد من الله. أما الذي ينكر هذا الحق فهو ليس إلاّ عدو المسيح بالذات. من ينكر الابن ينكر الآب أيضاً. فنكران الواحد هو نكران للآخر". وهذا ينطبق تماماً على ما أورده الوحي الإلهي على لسان الرسول بولس عندما كتب قائلاً: "... إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله". (٢كورنثوس ٤: ٣و٤). وبناءً على هذا التعليم فإن الهالكين هم الذين لا يرون ولا يؤمنون بأن يسوع هو الله المتجسد لأن معرفة المسيح والإيمان به واضحة وجلية. ففي العيش مع مجد وبركة المسيح الهناء والحيوية. من المحال بل ومن غير المعقول أن تكون الحياة هنيئة بمعزل عن مصدرها وبارئها. فالذي يؤمن بالمسيح يحيا إلى الأبد، لأنه أصلاً لا يحيا الإنسان من ذاته بل المسيح هو الذي يحيا فيه. لهذا فإن حياتنا مستترة مع المسيح في الله وبذلك أصبحنا تامين فيه ولا ينقصنا شيء. فإننا بواسطة الإيمان به فقط نحصل على الفرح الحقيقي بسبب محبته وافتدائه لنا. ويطرح لنا الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٦: ٢٢) أهمية هذه المحبة من جهتنا فيقول: "إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن أناثيما" (أي مرذولاً ومخذولاً)، فلا شك بأن الكتاب المقدس يشدد على أن نكران ألوهية المسيح ورفض قبوله وعدم صحبته والثقة به وعبادته وخدمته كإله إنما تشكل الأساس لدينونة الله الحاسمة لكل الذين يسمعون ويرفضون الإنجيل.

إن ألوهية المسيح هي واقع أرسخ من أن يرفض، وهي حق أخطر من أن ينبذ بدون عقاب لأن الذين يؤمنون بذلك يخلصون والذين ليس لهم عيون ليبصروا ويؤمنوا فهم بعدم إيمانهم قد أهلكوا أنفسهم. هذا هو بالحرف الواحد ما يقوله الوحي الإلهي الطاهر. "الذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"، "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا ٣: ١٨و٣٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجزء الثاني

إنسانية المسيح (ناسوته)

الفصل الأول:

دلائل بشرية المسيح

في الجواب على السؤال "من هو فادي مختاري الله؟" يقول كتاب أصول الإيمان "إن الفادي الوحيد لمختاري الله هو الرب يسوع المسيح الذي وهو منذ الأزل ابن الله صار إنساناً، وهكذا كان ولا يزال إلهاً وإنساناً معاً، ذا طبيعتين متميزتين وأقنوم واحد إلى الأبد" وفي الجواب على السؤال "كيف صار المسيح إنساناً وهو ابن الله؟" يجيب: "إن المسيح ابن الله صار إنساناً باتخاذه لنفسه جسداً حقيقياً ونفساً ناطقة، إذ حبل به بقوة الروح القدس في رحم مريم العذراء وولد منها بدون خطية".

كما رأينا في الفصول السابقة إن المسيح يتمتع بطبيعة إلهية وله كل صفات وألقاب الله. ومع هذا كلّه علينا ألاّ ننسى أنه، وهو على الأرض قد تمتع بطبيعة بشرية حقيقية وكاملة. فقد كان عظماً من عظامنا ولحماً من لحمنا عاش أثناء وجوده على الأرض كأي إنسان آخر عرضةً لكل الصعوبات والتجارب والآلام. فمن جهة ناسوته أو طبيعته البشرية، هو واحد منّا تماماً كما كان متّحداً مع الله من جهة لاهوته أو طبيعته الإلهية. فعندما كان طفلاً كانت له مشاعر ومزايا الأطفال وعند نموه "تقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس".

من فم أمه تعلم أولاً أمور الله الطاهرة وعند ركبتيها كان يركع مراراً كثيرة ليصلي. لقد نما في بلدة الناصرة التي لم تكن لها مكانة معتبرة ولا شهرة ذائعة. أما يوسف ومريم قد احتفظا بتلك العجائب التي رافقت طفولة يسوع ومن المرجح أن أمه لم تخبر بها إلاّ الفريق المقرّب من تلاميذه بعد قيامة المسيح. أما رفقاء وأقرباء ومعاصري المسيح فلم يلاحظوا على الأغلب أنه خلال نموه كان يتمتع بمزايا فائقة للطبيعة. ومن المرجح أن يوسف الذي كان خطيب أمه عندما كانت حبلى به كان قد مات قبل أن يشرع يسوع في خدمته الجهارية. وبما أن يسوع كان الابن البكر فإن مسؤولية إعالة أمه وبقية أسرته وقعت على عاتقه، وكنجّار كان يعرف معنى الكد اليومي. ومع أن الكتاب المقدس يسمي المسيح "آدم الثاني" فإنه لم يأت إلى عالم البشر كإنسان بالغ، بل مرّ بكل مراحل الاختبارات البشرية من طفولته حتى رجولته. لقد عاش يسوع المسيح حياة بشرية في كل لحظة وساعة ويوم من وجوده في عالم البشر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن حقيقة كون يسوع المسيح قد تمتع بطبيعة بشرية أصيلة وعاش حياة بشرية اعتيادية هي بالغة الوضوح والبيان عبر صفحات الكتاب المقدس. لقد تضمن أول مواعيد الوحي الإلهي بمجيء المخلّص كما يذكره سفر التكوين (٣: ١٥) عن حقيقة ناسوت المسيح للتأكيد على أنه سيكون نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية. هناك إذاً في مطلع سجلات الوحي الإلهي دلالة قاطعة على أن الله قصد أن يستخدم نائباً بشرياً للقيام بمهمة الفداء. أما الوعد المعطى لإبراهيم فيدل أيضاً على أن العهد الأبدي المقام معه من قبل الله سيتحقق في نسله (تكوين ١٧: ١٩و٢٢: ١٨). ذلك هو الموعد الذي تحدث عنه الوحي الإلهي على لسان الرسول بولس عندما قال بأنه لم يتم في الشعب اليهودي عامةً بل في المسيح بالذات (غلاطية ٣: ١٦و١٧). أما داود فكان قد وعد بأن نسله سيجلس على عرشه من بعده إلى الأبد (صموئيل ٧: ١٢-١٦) و(أخبار الأيام الثاني ٦: ١٦)، هذا ما ورد في قول المزمور (١٣٢: ١١) "من ثمرة بطنك اجعل على كرسيك". أما النبي أشعياء الذي تحدث في نبوته عن مجيء الفادي بتفصيل عجيب فإنه تنبّأ بأن المسيح كان سيولد من عذراء بطريقة معجزية (أشعياء ٧: ١٤)، والنبي ميخا ذكر بأن المخلص كان سيولد في بيت لحم (ميخا ٥: ٢).

إن العهد الجديد ينسب إلى يسوع المسيح مشاعر واختبارات بشرية حقيقية. فيما يلي لائحة ببعضها:

١- الولادة

- ولما ولد يسوع في بيت لحم... (متى ٢: ١)

- إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص... (لوقا ٢: ١١)

٢- النمو

- وكان الصبي ينمو ويتقوّى بالروح ممتلئاً حكمة...

- وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس. (لوقا ٢: ٣٩و٥٢).

٣- التعب

- فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر... (يوحنا ٤: ٦).

٤- النوم

- غطت الأمواج السفينة وكان هو نائماً. (متى ٨: ٢٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

- وكان هو في المؤخر نائماً، فأيقظوه... (مرقس ٤: ٣٨).

٥- الجوع

- فعندما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً.

- وفي الصباح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع. (متى ٤: ٢و٢١: ١٨).

٦- العطش

- يسوع... قال أنا عطشان. (يوحنا ١٩: ٢٨).

٧- الغيظ

- فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ. (مرقس ١٠: ١٤).

- فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم (مرقس ٣: ٥).

٨- الحنو والعطف

- ولما رأى الجموع تحنن عليهم. (متى ٩: ٣٦).

- فتحنن يسوع (على الأبرص) ومدّ يده ولمسه. (مرقس ١: ٤١).

٩- المحبة

- فنظر إليه يسوع وأحبه. (مرقس ١٠: ٢١).

- وأحد تلاميذه الذي كان يسوع يحبه... (يوحنا ١٣: ٢٣).

١٠- الفرح

- كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم (يوحنا ١٥: ١١).

١١- الحزن والهمّ

- وابتدأ يحزن ويكتئب. (متى ٢٦: ٣٧).

- بكى يسوع... (يوحنا ١١: ٣٥).

- الآن نفسي قد اضطربت. (يوحنا ١٢: ٢٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٢- التجربة

- ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرّب من إبليس. (متى ٤: ١).

- لأنه في ما هو قد تألم مجرّباً يقدر أن يعين المجرّبين. (عبرانيين ٢: ١٨).

- لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطيئة. (عبرانيين ٤: ١٥).

١٣- الصلاة

- صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي. (متى ١٤: ٢٣).

- وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض (لوقا ٢٢: ٤٤).

- الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرّعات. (عبرانيين ٥: ٧).

١٤- التألم

- هو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. (أشعياء ٥٣: ٥).

- هكذا مكتوب... أن المسيح يتألم.(لوقا ٢٤: ٤٦).

- مع كونه ابناً تعلّم الطاعة مما تألم به. (عبرانيين ٢: ١٠).

١٥- الموت

- فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح. (متى ٢٧: ٥٠).

- إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. (١كورنثوس ١٥: ٣).

وهكذا فقد أعطي لنا أن نفهم بأنه كانت ليسوع المسيح طبيعة بشرية حقيقية بما فيها من مزايا البشر الاعتيادية كما كان أيضاً عرضةً لنفس الميول البشرية الطبيعية. أما كون طبيعة الرب يسوع المسيح البشرية تامة فهو واضح من قول الوحي الإلهي "ينبغي أن يشبه أخوته (أي البشر) في كل شيء" (عبرانيين ٢: ١٧). إن يسوع المسيح بكل وعي وعن قصد سابق دعى نفسه "إنساناً" قائلاً: "تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمتكم بالحق"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(يوحنا ٨: ٤٠). وقد دعاه البعض من معاصريه "إنساناً" هذا ما قاله بيلاطس عنه: "هو ذا الإنسان" (يوحنا ١٩: ٥).

- يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله. (أعمال الرسل ٢: ٢٢).
- يوجد وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح. (١تيموثاوس ٢: ٥).

أما سلسلة الأنساب التي تدل على سلالة يسوع المسيح البشرية فلها دلالاتها القاطعة على ناسوته (راجع متى ١: ١-١٧ ولوقا ٣: ٢٣-٢٨). تلك اللوائح من شأنها ليس الدلالة على ناسوت المسيح فحسب بل أيضاً على كونه الوريث الملوكي والشرعي لداود. ثم إن لقب "ابن الإنسان" بغضّ النظر عمّا يحويه من معنى شاسع وعميق هو في معناه الأساسي يشير إلى طبيعة المسيح البشرية. هذا وإن الكنيسة المسيحية على مدى العصور والأجيال كانت دائماً تعتقد بأن مسيحها لم يكن إلهاً فحسب بل إنساناً أيضاً.

إن محدوديات يسوع في مجالات المعرفة تكوّن موضوعاً شيقاً للدراسة. فكما لاحظنا أنه "كان يتقدم في الحكمة وفي القامة والنعمة عند الله والناس"، وكإنسان لم يكن عليماً بكل شيء فإن الطبيعة البشرية تتصف بالمحدودية وإذ تمتع بها يسوع فقد ألحقت به المحدودية التي للبشر. من نتائج هذه المحدودية نرى أنه تعجّب من إيمان قائد المئة (لوقا ٧: ٩). كما أنه أبدى عدم معرفته عن وقت انقضاء العالم. ففي إحدى عظاته قبيل صلبه بأيام أخبر تلاميذه عن وعي وقصد بأنه لم يكن يعرف وقت انقضاء العالم: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلاّ أبي وحده" (متى ٢٤: ٣٦). راجع أيضاً (مرقس ١٣: ٣٢).

كان يسوع يستعمل قوة معجزية فوق الطبيعة عندما كان يعالج حالات طالبي الشفاء. فعندما لمست ثوبه امرأة معها نزيف دم مزمن، سأل وهو بين الجموع عن الذي لمسه لأنه شعر على الفور بأن قوة خرجت منه (لوقا ٨: ٤٥). راجع أيضاً (مرقس ٥: ٢٥-٣٤). كذلك عندما أخبره مبعوث أسرة لعازر بأن هذا الأخير مريض عرف يسوع على الفور أن لعازر قد مات. وكان يعرف كذلك بأن القصد من المرض "ليس الموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به" (يوحنا ١١: ٤). ورغم معرفة يسوع على التو أن لعازر مات سأل: "أين وضعوه؟" وبكى مع الأختين الثاكلتين لكنه ما برح أن أظهر قوته الفائقة للطبيعة بإقامة لعازر من الأموات بعد أن كان ميتاً لمدة أربعة أيام. (راجع يوحنا ١١: ١-٤٤). وعند عودته من بيت عنيا جاع ورأى من بعيد شجرة تين عليها ورق وعندما اقترب إليها لم يجد فيها ثمر فأيبسها بمجرد أمر منه. (راجع مرقس ١١: ١٢-١٤ و١١: ٢٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كتب عن هذا الموضوع أحد كبار علماء اللاهوت يقول: "يسوع نفسه أخبرنا استناداً إلى البشير مرقس (١٣: ٣٢)، بأنه كان يجهل وقت يوم الدينونة كما وأنه أظهر لنا مراراً وتكراراً رغبته في الحصول على معلومات من بني البشر. لقد كان بالفعل محدوداً في طبيعته البشرية ولكن بدون أي نقص في صفاته. وكان أيضاً عرضة للتجارب كما كان يشعر دائماً بحاجته للاعتماد على الله. وهو رجل صلاة ملمّ بالفرق بين ما يتعارض مع مشيئة الله وشريعته وما ينسجم ويتفق معها. لم يكن يتمتع بعقل إنسان فقط، بل بقلب إنسان أيضاً، وأكثر من ذلك إنسان بدون خطية. إنه من الضروري لنا أن ندرك بأنه قد نما تماماً كما ينمو البشر وهذا لا ينطبق على أيام حداثته فحسب بل أيضاً على كل مرحلة من مراحل حياته البشرية على الأرض. فقد تمّ نموه في المعرفة والحكمة والاحترام والإحسان والقوة الأخلاقية والطهارة والقداسة. لقد كان من الطبيعي أن ينمو يسوع المسيح نموّاً عادياً تماماً كما ينمو البشر في كافة جوانب الطبيعة البشرية".

كان من الضروري للمسيح أن يختبر كل ما هو للإنسان ولكن مع كل هذا التشديد الضروري على الدلائل المؤكدة لصحة وحقيقة وأصالة ناسوت المسيح فإنه من الواجب التشديد على الأدلة المؤكدة لأصالة وكمال طبيعته الإلهية. ففي نفس الوقت الذي يبدو فيه المسيح غير عالم بقضية معينة (راجع مرقس ١٣: ٣٢) فإنه يظهر كمن هو عالم بكل شيء. (يوحنا ١٦: ٣٠ و٢١: ١٧). وفي نفس الوقت الذي نرى فيه أنه رغب في الحصول على معلومات من مصادر خارجية وسأل عن أمور لا يعرفها ويتعجّب من أمور أدهشته، فإنه أظهر أيضاً أنه كان ملماً بكل ما يحدث أو ما قد حدث دون أن يخبره أحد. لقد علم بتفاصيل صلاة نثنائيل السرية. (يوحنا ١: ٤٧). كما أنه كان على علم بخفايا حياة الامرأة السامرية (يوحنا ٤: ٢٩)، ثم إنه كان يعرف حتى أفكار أعدائه بالتمام (متى ٩: ٤). نعم، لقد كان على علم بكل ما في الإنسان (يوحنا ٢: ٢٥). وهذا الواقع المزدوج لم يكن بالأمر المشوش أو المزعج، بل إنه كان يمثل أعظم انسجام وأعمق تضامن. صحيح أن المبعوث أخبره بمرض لعازر ولكنه لم يكن في حاجة لمن يخبره بحقيقة كون لعازر قد مات. وعلى نفس المنوال نرى كيف أنه في الوقت الذي عبّر فيه عن ناسوته ومشاعره في بكائه على لعازر وحزنه عليه فإنه عبّر عن ألوهية بإقامة لعازر من الموت بمجرد أمر تفوه به.

إيجازاً لما سبق فإننا في كل مكان نرى هذه الحقيقة المزدوجة العجيبة في حياة يسوع المسيح، أي أنه له المجد كان يتمتع بطبيعة إلهية وبشرية في آن واحد. والذين يصلون إلى معرفة يسوع المسيح من متضمنات العهد الجديد يجدون أنه لم يكن إنساناً فحسب بل إنه كان أعظم. وكان يشعر مع من يقترب إليه من البشر. لقد تقبل بصدر مفتوح إحضار الأمهات لأطفالهن إليه كما وأنه فتح قلبه للمرأة السامرية مصغياً لها بصدق واهتمام عند لقائه بها. إنه الإنسان الذي شعر بعمق مع مريم ومرثا وشاركهما البكاء على أخيهما لعازر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد صادق صيادي الجليل الفقراء والذين كانت مظاهرهم الخارجية تدعو للنفور وثقافتهم المحدودة تبعدهم عن الناس.

أما نحن الذين نعيش حوالي ألفي سنة بعد قدومه إلى عالم البشر فإننا نجد أنفسنا مرتبطين به بأقوى وأوثق الروابط الشخصية من المحبة والصداقة. فلنا تماماً كما كان للمسيحيين الأولين يقول: "أنتم أحبائي" ومع أنه خالقنا وربنا ونحن نتكل عليه ونطيعه ولكننا ندعوه صديقاً لنا. فالحقيقة هي أننا لا نكون قد دخلنا بالفعل إلى حياة الشركة معه ما لم نتعرف عليه ليس فقط كربنا وخالقنا بل أيضاً كصديقنا الحميم. لقد قال لتلاميذه: "لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي (يوحنا ١٥: ١٥). وعبر العصور والأجيال لا زال صوته يدوي قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (متى ١١: ٢٨).

كل مسيحي حقيقي يشعر بما قد قام به يسوع من أجله يجب أن يشعر كما اختبر التلميذ يوحنا بأنه "التلميذ الذي كان يسوع يحبه". ويا له من خطأ فادح أن يلجأ البعض لشفاعة البشر ووساطتهم أحياء كانوا أم أمواتاً كواسطة للوصول إلى المخلّص. إننا بتصرف كهذا نكون قد أبعدنا المسيح عن المؤمنين الذين أحبهم ومات عنهم مكفراً عن خطاياهم وقام في اليوم الثالث لتبريرهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني:

التجسّد

جواباً على السؤال: "كيف صار المسيح إنساناً وهو ابن الله؟" يجيب الكتاب المختصر لأصول الإيمان: "إن المسيح ابن الله صار إنساناً باتخاذه لنفسه جسداً حقيقياً ونفساً عاقلة، إذ حبل به بقوة الروح القدس في رحم مريم العذراء وولد منها ولكن بدون خطية".

خلق الإنسان، خلافاً لكل الحيوانات، على صورة الله. وأعطي طبيعة روحية وعقلية ونفساً حية. يقول الرسول بولس بأن الله "ليس بعيداً عن كل واحد منا، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال الرسل ١٧: ٢٧و٢٨). ومع أن العنصرين الإلهي والبشري متميزان واحدهما عن الآخر، ليسا أجنبيين أحدهما عن الآخر وليسا أيضاً متضادين أو متعارضين. فالإنسان هو شرارة من نار عظيمة أو إناء فارغ بحاجة لأن يمتلئ من النبع غير المحدود، لذلك فلا معنى لوجوده سوى في صلته بالله. وبما أن الإنسان مخلوق على صورة الله أعطي سلطة على مخلوقات وموجودات الأرض. (راجع سفر التكوين ١: ٢٨) إنه في الواقع يتميع بمركز إلهي مصغّر ومحدود. ويقول الوحي الإلهي عن البشر: "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم" (مزمور ٨٢: ٦)، وهذا ما اقتبسه المسيح عندما وجّه كلامه لليهود قائلاً: "أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت أنكم آلهة" (يوحنا ١٠: ٣٤). إذاً الترابط ما بين العنصرين الإلهي والبشري هو في الواقع من متضمنات ونتائج خلق الله للإنسان. وبما أن الإنسان خلق على صورة الله بالذات فإن كلمة الله الأزلي أمكنه وهو كامل الألوهية، أن يصبح ابن الإنسان، ذلك لأن الإنسان هو بالطبيعة ابن الله. لم يكن ممكناً للمسيح، وهو كلّي الألوهة، أن تصبح له طبيعة أجنبية عن طبيعته ولا أن يصبح على صورة مغايرة لصورته هو.

لم تكن عملية التجسد غاية في حد ذاتها، بل كانت وسيلة للغاية الأسمى لأن الإنسان بسقوطه في خطية العصيان وعدم الثقة في قول الله قد فصل نفسه عن الله وأفقد نفسه كل القدرة على تدبير خلاصه بنفسه. لهذا السبب أخذ الله على نفسه ذلك العاتق أي عملية خلاص الإنسان. ومن أجل ذلك صارت عملية التجسد. فالله الذي تجسّد في جسم بشري أخذ مكان الإنسان تجاه المتطلبات للشريعة والعدالة الإلهيتين. فقط من هو حقيقة إله يمكنه أن يعطي قيمة غير محدودة لذلك الألم والموت. إذاً فإن الغاية القصوى لتجسّد الرب هي أن يموت. "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت.... ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية.... من ثم كان ينبغي أن يشبه أخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفّر خطايا الشعب" (عبرانيين ٢: ١٤-١٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبما أن النص الذي أورده الوحي الإلهي في رسالة الرسول بولس إلى فيليبي (٢: ٥-١١) هو الأكثر وضوحاً في عقيدة التجسد، يشير هذا النص بأن المسيح "كان في صورة الله"، لكنه "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس". وقد وردت في رسائل الرسول بولس الموحى بها من الروح القدس إشارات أخرى لموضوع التجسّد أمثال ذلك هو ما ورد في (كورنثوس الثانية ٨: ٩) حيث يقول: "ربنا يسوع المسيح.... من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره". وفي (غلاطية ٤: ٤) يقول: "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني". وفي (كولوسي ١: ١٩) يقول الوحي الإلهي عن المسيح: ".... فيه سُرّ أن يحل كل الملء". وفي (٢: ٩) من نفس الرسالة يقول: "فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً". المسيح إذاً، في ولادته من امرأة أخذ على نفسه طبيعة بشرية ومع أنه بقي على سموه الإلهي إلاّ أنه صار إنساناً حقاً، فإن حلول "كل ملء اللاهوت" في جسد المسيح إنما يعني أن كل ألوهية الله، كل ما يجعل الله الإله الحق حلّ في المسيح... لبس لباساً جسدياً.... كل من يتطلّع إلى يسوع المسيح يرى بدون شك جسداً وإنساناً، ولكن بينما يبدو ذلك واضحاً للعيان فإنه من الضروري أن نتذكر بأننا في المسيح نرى الله بالذات بكل كمال لاهوته في لباس إنساني. يسوع المسيح هو إذاً "الله ظهر في الجسد" (تيموثاوس الأولى ٣: ١٦).

لم تكن غاية الله من التجسد أن يوفر الفداء لبني البشر فحسب بل كانت الغاية أيضاً الكشف عن ذاته للبشر بصورة أكثر كمالاً من مجرد سجلات الوحي الإلهي عبر الأنبياء. وهذا يعني أن الحق والسمو يصبحان المبادئ الرئيسية التي تسيّر الحياة الداخلية لعدد متزايد من البشر عبر الأجيال. في فترة العهد القديم كلّم الله البشر عبر الأنبياء كاشفاً لهم شيئاً عن طبيعته وعن حالة الإنسان الخاطئة التعيسة، وأيضاً عن مخططه الإلهي للخلاص. لكن فترة العهد الجديد التي نعيش فيها تتميز بذلك المجد الكامن في الحقيقة وهي أنّه في المسيح جاء الله شخصياً، وفي شخص المسيح وعمله أعطى الله للبشر وحياً عن نفسه وعن مخطط الخلاص. فالإله الأكبر العظيم الذي خلق هذا العالم جاء فعلاً إلى العالم وعاش بينه. هذا هو سر التجسّد أن البشر بأعينهم المجردة رأوا من هو في الحقيقة الله بالذات.

المسيح هو نهاية وكمال الوحي الإلهي للبشر، "الله لم يره أحد قط" (يوحنا ١: ١٨) لكن في المسيح، الله الذي هو الروح غير المحدود، كشف عن نفسه للبشر في كونه قد صار على هيئة البشر المحدودة حتى أنه في استطاعة البشر المحدودين أن يعوه في نطاق قدرتهم المحدودة. ومن المهم أن نلاحظ بأن المسيح عندما دخل في تلك العلاقة الحيوية الشخصية مع الطبيعة البشرية أضفى عليها بركة لا تحصى وذلك نتيجة لتداخل اللاهوت فيها عبر عملية التجسد. وبهذا فإن الطبيعة البشرية أصبحت ذات مكانة أسمى من مكانة الملائكة نفسها، لأن الله لم يختر أن يقترب بهكذا علاقة شخصية حميمة مع أي من خلائقه سوى مع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بني البشر. "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما.. لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم" (عبرانيين ٢: ١٤-١٦). كما أن الطبيعة البشرية التي اتخذها المسيح لنفسه في التجسد ستبقى له إلى الأبد. لقد أحضرها معه حين قام من الموت وعاد بها إلى الآب. ففي السماء ظهر ليوحنا كشبه ابن إنسان في صورة بشرية (رؤيا ١: ١٣)، كذلك فإن استفانوس وهو يستشهد رأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله في مركز الإكرام والعظمة والقوة (أعمال الرسل ٧: ٥٦)، وهكذا فإنه بقيامة المسيح وصعوده وجلوسه على عرش العظمة رفع معه الطبيعة البشرية وأوصلها فوق كل مكانة في الكون. إن الإقامة القصيرة التي قضاها على الأرض لم تكن مجرد حضور إلهي أو ظهور وقتي لله في صورة بشرية، بل كانت تجسّداً حقيقياً ودائماً. بعض شخصيات العهد القديم كانوا قد شاهدوا ظهورات إلهية، مثال أولئك، ابراهيم (تكوين ١٨: ١-٣٣) ويعقوب (تكوين ٣٢: ٢٤-٣٠) وموسى (خروج ٢٤: ٩-١١، ٣٤: ٥و٦) ويشوع (يشوع٥: ١٣-١٥) ووالدي شمشون (قضاة ١٣: ٢-٢٢) وأشعياء (أشعياء ٦: ١-٥) وأصدقاء دانيال الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو (دانيال ٣: ٢-٢٢). لكن تجسد المسيح كان يختلف عن تلك الظهورات اختلافاً جوهرياً. ففي التجسد ولد الله كطفل في بيت لحم، ولمدة ثلاث وثلاثين سنة استمر ذلك الوصل ما بين الله والطبيعة البشرية بصورة بدت فيها الطبيعة البشرية واضحة جلية.

عقيدة التجسّد المسيحية لا يمكن المغالاة في تقدير أهميتها، فإن صحة واستقامة المسيحية كالدين الفدائي والخلاصي الموحى به من الله تثبتان أو تسقطان مع هذه العقيدة بالذات. ولعلّ أوضح بيان لهذا الواقع هو ما ورد في رسالة يوحنا الأولى والتي أوحي بها في وقت تزايد فيه عدد المرتدين وناكري الإيمان، وقد كان القصد منها ترسيخ إيمان المؤمنين ضد الضلالات التي انتشرت بكثرة وشراسة. أما إحدى تلك الضلالات الرئيسية فكانت ضلالة نكران تجسّد المسيح، لذلك نجد بأن يوحنا لم يصر على الاعتراف بحقيقة كون يسوع قد أتى إلى العالم بالجسد فحسب، بل إنه يجعل من هذه الحقيقة أساساً من أساسات الإنجيل. يقول البشير يوحنا "كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي والآن هو في العالم" (٤: ٣)، ثم يضيف قائلاً: "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله.... من له الابن فله الحياة ومن ليس له الابن فليست له الحياة.... ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (رسالة يوحنا الأولى ٥: ١-٢٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث:

ميلاده العذراوي

في الفصول الأولى من الإنجيل حسب متى ولوقا ترد بيانات مفصلّة عن ولادة يسوع المسيح من العذراء مريم. الاعتبار الأساسي الذي يركز عليه الخبر هو كيف أن الإله الرحيم المحب يتدخل لأجل خلاص شعبه تباعاً لمواعيده وتتميماً لتنبؤات وحيه الطاهر. أما التدخل الإلهي الخلاصي فقد حمل طابعاً معجزياً. من هنا كان من المهم أن ندرك أن المعجزات التي ارتبطت بمجيء المسيح إلى عالم البشر (بما فيها ميلاده العذراوي) لم يكن حدوثها لمجرد سد حاجات فردية مختلفة ومتشعبة ولم يكن مجرد أحداث متفرقة، بل إنها كانت بكليتها مرتبطة ومتراصة معاً ضمن نطاق تتميم المخطط الإلهي للفداء والذي لا شكّ فيه أن السيد المسيح هو مركزه.

المعجزات المدونة في الوحي الإلهي سواء كانت في العهد القديم أو الجديد من الكتاب المقدس (خاصة تلك التي تختص بتجسّد المسيح وقيامته من الموت) لم تكن صنيعة ظروف تاريخية أو اجتماعية عارضة، لأننا لو وضعنا نصب أعيننا واقع كون المسيح شخصية غير اعتيادية، فإنه يسهل علينا إدراك ضرورة ارتباط تاريخية دخوله وخروجه من عالم البشر بمظاهر تاريخية معجزية غير اعتيادية. لذلك ونحن نتعرّض لموضوع ولادته المعجزية من عذراء لا بد لنا من أن نضع ضمن أساس دراستنا الظروف الاجتماعية والتاريخية التي رافقت عملية مجيئه إلى عالم البشر. في لوقا (١: ٢٨-٣٨)، يسجل لنا الوحي الإلهي بأن يوسف خطيب مريم كان رجلاً يعمل بالنجارة، ذا وضع اجتماعي متواضع مع أنه من عرق يهودي صافي. لكن الله اختار أن يكون حبل مريم بالمخلّص معجزي بواسطة الروح القدس، مع أن بشارة الملاك أكدت لمريم بأن المسيا المولود منها سيكون له عرش داود بالذات. سمع يوسف عن الأمر وقرّر حل خطبته من مريم بهدوء دون أن يسيء الأمر إلى سمعتها. لكن ملاك الرب منعه حتى من تنفيذ الأمر بهكذا لطف وعرّفه ببراءة مريم وبضرورة عدم تخليه عنها وبأن المولود منها سيكون من الجهة القانونية ابناً له مع أنه لم يكن له به أي علاقة جسدية. تقبّل يوسف مشيئة الله بإيمان وحلّت الطمأنينة في قلبه وزال الانزعاج. وهكذا تأمن مولد المسيا من عذراء في الوقت الذي كانت له عبر يوسف تغطية أبوية قانونية مثل باقي أقرانه.

إن سجل ولادة المسيح هذا لا شك منسجم تماماً مع مكانته العظيمة ورسالته السامية بين البشر. لقد كان مولده ضمن العائلة الروحية والجسدية لشعب الله وخاصةً في المحيط الذي تمسّك بتعاليم التوراة والأنبياء، جاء متواضعاً ومن نسل داود الذي كان مثال العظمة الدينية والروحية والملكية بين اليهود. لكن أسلوب مجيئه المعجزي هذا يعكس أمراً هاماً للغاية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فمن جهة كان يجب أن يكون إلهاً حقاً، وهذا تمّ عبر أسلوب حبل أمه به، ومن جهة أخرى كان من المفروض أن يتمتع بطبيعة بشرية حقيقية، وهذا تمَّ بولادته من امرأة كما هو الحال مع باقي البشر. لعل تلك الحقيقة المزدوجة هي جوهر ولبّ عملية التجسّد نفسها. فلو أن المسيح جاء بدون أحد هذين العنصرين الإلهي والإنساني لما انطبقت عليه أوصاف المسيا المنتظر ولما تمّت النبوءات التي أشارت إلى مجيئه من عذراء (راجع نبوة أشعياء ٧: ١٤) كما أشارت إلى وجوده الأزلي السابق وإلى كونه الرب الآتي للبشر بالذات (راجع نبوة أشعياء ٩: ٦-٧، ونبوة ميخا ٥: ١-٤). ثم أنه لو لم يتوفر فيه هذان العنصران، الإلهي والبشري لما كان صالحاً لأن يكون فادي البشر والوسيط بينهم وبين المحضر الإلهي. أما وأن ملامح كل من ألوهيته وبشريته قد تجلّت في ولادته العذراوية واستمرت في الوضوح عبر حياته الأرضية وحتى قيامته من الأموات بعد صلبه، فإنه لم يعد هناك مجالاً للشك في كونه هو ابن العذراء، الإله المتجسد الذي توقعت قدومه أجيال المؤمنين والمؤمنات.

لكن أهم جوانب ولادة المسيح العذراوية هو الجانب التاريخي لها. لم تكن الولادة العذراوية مجرد ادعاء تمسكت به مريم أو أقاربها للتأكد من تطبيق نبوءات الأنبياء على الوليد المنتظر أو لستر فضيحة صدمت العائلة. صحيح أن مريم كانت أول من عرف بالأمر لكن معرفتها جاءت قبل إتمامه. لقد أخبرها الملاك بمشيئة الله الطاهرة لها قبل أن يتم شيء. ثم إن الله كشف عن تلك الحقيقة ليوسف خطيبها وللرعاة في البرية وحكماء المشرق الذين ساروا وراء النجم غير المعتاد الذي دلّهم إلى مكان ولادة الصبي. أما أليصابات أم يوحنا المعمدان فقد أوحى لها الله بتلك الحقيقة وهي في شهرها السادس من الحمل ولم يتبق على ولادة ابنها سوى ثلاثة أشهر إذ أنها بمجرد لقاء مريم شعرت بتحرك غير طبيعي للجنين الذي تحمله. وقد تفهّمت على التو بإرشاد إلهي أن مريم هي العذراء الموعودة التي كانت ستحمل الملك المنتظر الذي يأتي ابنها لتحضير مجيئه. (راجع الإنجيل حسب لوقا ١: ٢٣-٥٥).

لا يخفى على بال أحد أن ولادة يوحنا المعمدان نفسه وحبل أمه به لم تكن خالية من عنصر تدخل المشيئة الإلهية المعجزي، لكن مع أن حبل أليصابات بابنها يوحنا جاء في هكذا عمر متأخر بتدخل إلهي لإصلاح عقمها هي وزوجها، فقد كان مولد يوحنا طبيعياً واعتيادياً وليس بطريقة معجزية غير معتادة كما هو الحال مع المسيح. (راجع لوقا ١: ٥-٢٣). أما عنصر عدم التشابه الجوهري بين مولد يوحنا المعمدان ومولد المسيح فقد ارتكز في ولادة المسيح العذراوية. فمع تدخل الإرادة والقوة البشرية في عملية مجيء يوحنا المعمدان إلى العالم بقي مجيئه إلى عالم الأحياء نتيجة عمل حبل طبيعية اشترك فيها والديه الاثنين. أما ولادة يسوع فجاءت نتيجةً لحبل معجزي من عمل الله المباشر لم يكن لرجل أي دور فيه على الإطلاق. فيما عدا ذلك الأمر فإن المسيح، كيوحنا وغيره من البشر، حملته أمه في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بطنها تسعة أشهر، كما وأن عملية خروجه من بطن أمه جاءت على نحو طبيعي معتاد. من هنا جاء تركيز المشيئة الإلهية في توضيح فرادة مجيء المسيح إلى عالم البشر على ولادته العذراوية بالذات وذلك تشديداً ليس على انفراده بالدور الخلاصي الذي جاء لتنفيذه فحسب بل أيضاً لتمتعه بطبيعته الإلهية والبشرية. صحيح أنه كان في استطاعة الله أن يأتي إلى عالم البشر بأسلوب مختلف فيما لو كانت تلك مشيئته. لكن اختياره لوسيلة الولادة من عذراء حقق ما أراده هو بأسلوب واضح وملفت لانتباه البشر.

إن ميلاد المسيح من العذراء مريم دلّ على أمرين هامين بالنسبة لهويته. أولاً: إن طبيعته الإلهية لم يكن لها أم، وثانياً: إن طبيعته البشرية لم يكن لها أب. ابن الإنسان لم يكن ابن أي إنسان. ثم أن هذين الأمرين فصلا المسيح عن الطبيعة الساقطة الموروثة عن آدم التي يتمتع بها باقي البشر. فلولا ميلاده العذراوي لما صلح إذاً لتنفيذ عملية الخلاص كإنسان لأنه بدون ذلك يكون قد ولد في الخطية كباقي البشر، ولولا ميلاده العذراوي ما كان قد حمل تلك الهوية والطبيعة الإلهية غير المحدودة التي هي وحدها تخوّل له دور حمل خطايا عدد لا يحصى من البشر الهالكين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع:

تواضع المسيح

يخبرنا الرسول بولس في رسالته إلى فيلبي (٢: ٨) بأن المسيح "وضع نفسه" عند إنجازه لعملية الفداء. وقد عبّر كتاب أصول الإيمان عن هذا الموضوع كما يلي: "كان اتضاع المسيح بولادته وذلك في حالة متدنية وبجعله تحت الشريعة وبتحمله مشقات هذه الحياة وغضب الله والموت اللعين على الصليب وبدفنه ومكوثه تحت سلطان الموت إلى حين".

بحسب هذا البيان فإن المرحلة الأولى في اتضاع المسيح كانت في ولادته. فكونه رئيس المجد الذي يشترك في بهاء وجلال الله الآب قد تنازل لكي يتخذ (في وحدة شخصية ومستمرة مع ذاته) طبيعة هي أدنى للغاية من طبيعته الأصلية. حتى لو أنه دخل العالم كملك متسربل بالأرجوان ومتوّج بالذهب لكان ذلك تنازلاً كبيراً. أما أن يكون قد ولد كطفل عاجز يتكل بالكلية على أمه وأن يكون فقيراً لتلك الدرجة المؤثرة بحيث لم يكن له موضع ليسند رأسه، وأن تكون حياته معرضة للخطر بسبب اضطهاد هيرودس لدرجة أن والداه فرّا هاربين إلى مصر. هذه الأمور تعتبر في حد ذاتها تصرفاً يكشف بجلاء عن تنازله الكلي واتضاعه المطلق لصالحنا. وهذا ما يصعب على عقولنا إدراكه. فمع أنه كان مصدر الشريعة نفسها، فقد اعتاد في نموه على محدودية كيانه البشري وأخضع نفسه لمتطلبات الختان. وهكذا أخذ مكانه تحت الشريعة كما لو كان يهودياً عادياً. لنلقي نظرة عما يذكره أحد علماء اللاهوت البارزين من أن المسيح سكن في بيت حقير ضمن قرية وضيعة ومحتقرة تدعى الناصرة، وسط جيران خشنين وأفظاظ وفي محيط ضيق ومنكمش ومن أكثر الأماكن تجاهلاً من قبل ذوي الشأن. ومع أنه رب الجميع فإنه كان خاضعاً ليوسف ومريم كطفل بشري اعتيادي. كما وأنه كدّ في حانوت النجار وأخضع نفسه لمشقات المساكين والمتضعين. لقد دفعته خدمته الجهارية للاتصال بكل صنف ولون من البشر، ابتداءً بالضعفاء والخطاة نزولاً بالسفلاء والمنحطين فلم يتردد عن التوقف للتعامل معهم جميعاً. ومع أنه كان إلهاً قدوساً طاهراً فقد عاشر هؤلاء يوماً بعد يوم وكأنه واحداً منهم. وكان يأكل مع العشارين المحتقرين ومع الفريسيين المتكبرين. لقد تعرّض للجوع والعطش وشعر بهما مرات كثيرة. لم يكن له موضع ليسند رأسه حتى إنه لم يكن لديه ما في جعبة أدنى الأدنياء في مجتمعه. فقد قاسى عداوة مرّة واضطهاداً كاسراً على أيدي زعماء اليهود. ومع أن اتضاع وتألم المسيح استمرا بشكل أو بآخر عبر كافة مراحل حياته الأرضية فلقد ازدادت وطأة آلامه لدى اقتراب خدمته الخلاصية من نهايتها. لقد تعرّض في المرحلة الأخيرة من حياته على الأرض لاختبار أعمق وأقسى، ألا وهو اختبار الذل والبغض من قبل أعدائه. لقد وصلت المذلة إلى ذروتها عندما جرّ محتقراً ومذلولاً من قبل أعدائه وسط

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صيحات اللامبالاة القاسية وعواطف الشعب الهائجة ضدّه والمنادية بجهل وغباء منقطع النظير "اصلبه... اصلبه...". إنه في ذلك الوقت بالذات كانت بداية حمله للدينونة الهائلة التي كان قد سبق فرآها آتية لا محالة على كافة الأمة اليهودية، تلك الأمة التي كان ينتمي إليها ويحبها. جميع تلك الأمور كانت عبئاً عليه. إن تألمه وموته على الصليب إنما كانا أشدّ أنواع الموت وأكثرهما رهبةً وعذاباً عبر تاريخ الجنس البشري.

لم تكن الآلام الجسدية كل ما كان عليه تحمّله على الصليب. فبما أنه كان يقوم بعمله الخلاصي عن شعبه، أي يبذل نفسه فدية، فإنه عومل كما لو كان هو بالذات قد أخطأ واستحق العذاب. حتى أن حضور الآب الذي كان يلازمه في كل لحظة من لحظات حياته حجب عنه في تلك اللحظات تماماً كما يحجب الظلام نور الشمس. أما نفسه الحساسة فقد تركت لتتألم وحدها، في خصام عنيف مع قوى الشرّ الغاشمة التي سعت باستماتة يصعب وصفها في هذا الظرف الأخير، آملةً في إسقاطه وإحباط عمله الفدائي. أما صراخ عذابه "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" فما هو إلاّ دليل على شدة تألمه. أما نحن فلا يمكننا أن نتفّهم ولو جزئياً مشقة ما تحمّله وهو معلّق على خشبة الصليب. ولكننا نعلم أنه لم يعمل أية خطية ولم يكن للموت أي حق فيه. لقد أخذ مكاننا باختياره وتحمل العقاب الذي استحققناه نحن. وهكذا عمل لنا كفارة عن خطيتنا. لذلك لا يمكننا مجرد طرح مسؤولية صلبه على يهود ورومان ذلك العصر، بل ما يمكننا فعله هو أننا بالتوبة والاتضاع نعترف بمظهر الجريمة الأوسع، فخطيتنا نحن وخطيتهم هم هي التي جلبت عليه تلك الآلام المبرحة. لقد تألم بصورة خاصة لأجل المعذبين أفراداً وجماعات بغضّ النظر عن العصر الذي يعيشون فيه لأنه حمل عنهم ذلك الحمل.

ثم إن اتضاع المسيح تمّ بدفنه في مقبرة أعدّت لبشر لم يكن موتهم متوقعاً فحسب بل كان أمراً محتوماً، ففي دفنه اشترك نهائياً مع كل البشر الذين يموتون ويدفنون والذين تنحل أجسادهم وتزول. ولكن جسده لم ينحل بل بالأحرى قام من الأموات أمجد قيامة بعد ثلاثة أيام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس:

مجد المسيح

جواباً على السؤال: "على أي أساس يقوم ارتفاع السيد المسيح؟" يقول كتاب أصول الإيمان: "إن مجد السيد المسيح يقوم على أساس قيامته من الأموات في اليوم الثالث وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الله الآب، وعودته لدينونة العالم في اليوم الأخير".

ارتفاع السيد المسيح لا يتعلّق بطبيعته الإلهية، التي هي الآن، والتي كانت دائماً مباركة وممجدة، بل إن التمجيد يتعلق بطبيعته البشرية لأن طبيعته الإلهية لا تتغير ولذلك فهي غير قابلة للزيادة أو النقصان. إن اتضاعه كان مؤقتاً وقد ابتدأ بولادته وتمّ بدفنه ولا يمكن تكرار هذا على الإطلاق. أما ارتفاع السيد المسيح فإنه مستمر وقد ابتدأ بقيامته وصعوده وما زال قائماً حتى الآن، وهو جالس عن يمين الله الآب ويدير أمور ملكوته بصورة مستمرة. إن هذا سيكشف عنه بصورة كاملة عند نهاية العالم حين يأتي بمجد أبيه ومع الملائكة القديسين ليدين الأمم ويعين لكل فرد مصيره الأبدي.

لم تكن قيامة السيد المسيح مجرد خطوة أولية لتمجيده بل إنها أيضاً واحدة من عظائم حقائق الإنجيل. بهذا العمل انتصر السيد المسيح على الموت وخرج حيّاً من القبر. هذا هو البرهان على أن عمله الفدائي كان ناجحاً تماماً وانتصاره انتصاراً تاماً على الموت. وقد أظهرت أيضاً بأن عمله هذا قد أنجز كامل مطاليب الشريعة الإلهية التي سنّها الله عند الخليقة الأصلية بأن النفس التي تخطئ يجب أن تموت. لذلك فإن الموت لم يعد له أي حكم عليه ولا على أي من الذين مات عنهم وافتداهم. لقد برهنت أيضاً على أنه كان كما قال تماماً، أي ابن الله، مساوٍ لله الآب، الذي ظهر في الجسد. وبما أنه تألم ومات ليس بسبب أي خطية له بل كالقائد الذي ينوب عن شعبه، فإن قيامته هي الضمان على أنه في الوقت المعين سيقيم أيضاً شعبه المنتسب إليه انتساباً حياً في قيامة مجيدة. ذلك يعني أن الإنجيل هو حق، وأنّ الشيطان قد دحر نهائياً. انتصرت الحياة على الموت والحق على الباطل والخير على الشر والسعادة على البؤس. كل تلك الانتصارات هي أبدية دائمة كما أبرز الرسول بولس أهميتها الحقيقية القصوى حينما قال: "وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم... وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم. إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا. إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس. ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين فإنه إذا الموت بإنسان فبإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع. ولكن كل واحد في رتبته. المسيح هو الباكورة ثم يتبعه الذين له والذين سيقيمهم عند مجيئه الثاني". (١كورنثوس ١٥: ١٤-٢٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النتيجة الأولى والأكثر تأثيراً للقيامة ظهرت في التغيير التام الذي حدث في عقول وقلوب التلاميذ. فمع أنهم بعد الصلب كانوا مثبطي العزم تماماً ومع أنهم ظهروا على وشك فقدانهم الإيمان بالمسيح كالمسيّا الحقيقي المنتظر، فإنهم على ضوء القيامة أصبحوا مقتنعين اقتناعاً كاملاً بأن مسيحهم الذي قام من الأموات هو ابن الله، المسيّا الموعود به، مخلّص العالم. ومنذ ذلك الحين لم يزحزحهم شيء عن اعتقادهم هذا، فخرجوا وصاروا يبشرون في كل مكان وأظهروا بأنهم كانوا مستعدين لأن يتألموا وحتى أن يموتوا إذا دعت الضرورة لأجل الإنجيل. إننا نعلم بأن البعض منهم قد استشهدوا في معرض خدمتهم له، والتاريخ يخبرنا بأن أكثر تلاميذ السيد المسيح انتهت حياتهم الأرضية بالاستشهاد لأجل مسيحهم.

الخطوة الثانية في ارتفاع السيد المسيح كانت صعوده. يذكر البشير مرقس بشكل موجز أنه بعد أن تكلّم مع التلاميذ "ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله" (مرقس ١٦: ١٩)، ويمين الله هو بالطبع مركز الإكرام والتأثير والقوة والجلال. يقول البشير لوقا بأن المسيح "أخرجهم (أي التلاميذ) خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء" (٢٤: ٥٠و٥١). أما سرد حادثة الارتفاع سرداً وافياً فقد قام به لوقا في سفر الأعمال. فبعد تدوين كلمات يسوع الأخيرة للتلاميذ يصف الوحي الإلهي: "ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم. وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء" (أعمال الرسل ١: ٩-١١).

بهذا الخصوص قال أحد مشاهير اللاهوتيين:

١- إن صعود المسيح كان بكل أقنومه، كالإله المتجسّد. ابن الله المتسربل بطبيعتنا ذات جسد حقيقي ونفس ناطقة، هو الذي صعد.

٢- إن صعود المسيح كان منظوراً. فالتلاميذ شاهدوا كل هذه العملية. قد رأوا شخص المسيح يرتفع تدريجياً عن الأرض و"يصعد" حتى حجبته سحابة عن مرآهم.

٣- لقد كان الصعود انتقالياً محلياً لشخصه من مكان إلى آخر، من الأرض إلى السماء، فالسماء هي إذاً "مكان". أما مكان وجود السماء بالنسبة للأرض فلم يكشف عنه الوحي الإلهي، ولكن حسب عقيدة الكتاب المقدس، السماء هي مكان محدد أو معين من الوجود حيث يظهر حضور الله بطريقة خاصة وهو محاط بملائكته الأبرار... وبأرواح قدّيسيه الأبرار الذين ماتوا على رجاء قيامته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

السماء هي موطن السيد المسيح وهي عرشه وهيكله. فالصعود أو الارتفاع شكّلا الوجه المقابل لنزوله إلى الأرض. في فصل سابق كنا قد بحثنا في موضوع وجوده السابق ورأينا بأنه قد "أتى" أو"أرسل" في مهمة خاصة للفداء. وإذ أتمّ ذلك العمل بنجاح تام فإنه عاد إلى موطنه السماوي لاسترداد مكانته الأصلية العليا. هذا وإن عالمنا الحاضر بما فيه من معالم الشر ليس بالمكان الملائم لوجود الفادي في حالة مجده الكامل ولا يمكن أن يصلح لإضافة دائمة للمسيح العلي إلاّ بعد أن يكون قد تعرّض هذا العالم لعملية تطهير وإعادة خلق تجعل من العالم الحاضر هذا سماء جديدة وأرضاً جديدة. ثم بما أن السيد المسيح قد جهّز كفّارة فعلية وأوفى كل المتطلبات القانونية المترتبة على شعبه فإنه قد كان من الضروري أن يضع موضع التنفيذ في حياة من خصّتهم تلك الكفّارة وذلك بواسطة عمل الروح القدس. فالروح القدس هو الذي يجدد نفوس البشر ويعدّهم إعداداً كاملاً للوطن السماوي. ولكي ينجز ذلك فإنه يقوم بإنارة ألبابهم الروحية وحثّهم وتوجيههم إلى الإيمان والتوبة ومن ثم يدفع بهم في مسيرة مطردة نحو التقديس. هذا وإنه بدون قوة الروح القدس المجددة والخلاّقة يبقى البشر جاثمين تحت عبء خطاياهم دونما الانتفاع فعلاً من عمل المسيح الخلاصي. ولكن مباشرة الروح القدس لعمله الجليل هذا تفترض أن تسبقها عودة المسيح المخلّص لمجده الأصلي مع الآب. لقد أفهم المسيح تلاميذه بالقول: "الحق... إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يوحنا ١٦: ٧). فالبركة العظيمة الخاصة التي تنبأ عنها الأنبياء وقالوا بأنها من ميزات عصر المسيّا، هي بركة الروح القدس. أما منح تلك البركة الخاصة بالكنيسة فكان مرتبطاً بصعود الفادي. لقد تمجّد لكي يمنح التوبة ومغفرة الخطايا ولكي يجمع شعبه من كل الأمم وفي كل العصور ليصبح عمله الخلاصي فخراً في حياة المؤمنين. وكان عرشه السماوي أنسب مكان للكشف عن كمال عمله الكفّاري. من المفيد بهذه المناسبة أن نشير أيضاً إلى أن معاملات الله مع البشر في هذا العالم تشتمل على ثلاثة أشكال متميزة، لكل أقنوم من أقانيم الثالوث الأقدس صلة خاصة بأحدها. في تدبير الله الأبدي كان يوجد ما يمكننا أن ندعوه بتقسيم العمل بين أقانيم اللاهوت وترتيب معين للحوادث كان يجب أن يتبع. كان عمل الآب في الخلق والعناية الضابطة لكل شيء. وقد امتّد عبر حقبة العهد القديم وحتى ولادة يسوع المسيح في بيت لحم. أما عمل الابن فقد اختص بعملية الفداء وقد ابتدأ بولادته في بيت لحم واستمر حتى يوم الخمسين. ففي أثناء ذلك الوقت قام بتجهيز كفارة عملية وأنجز كل المطاليب الشرعية عن شعبه، بحيث يمكن أن يُنقلوا من حالتهم في الخطية والشقاء إلى حالة الخلاص. إن عمل الروح القدس يختص بتطبيق عملية الخلاص الكفارية التي حضّرها الابن، وترسيخها في حياة المؤمنين، وقد بدأ عمل الروح القدس هذا بشكله الكامل والواضح في يوم الخمسين عندما تأسست كنيسة العهد الجديد. ويمتد هذا العمل الخاص للروح القدس حتى النهاية وحتى اكتمال عملية الخلاص وتجميع الكنيسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخطوة الثالثة في ارتفاع المسيح هي جلوسه عن يمين الله. من هناك يوجّه أمور ملكوته المتقدم ويحافظ على نظامه الكامل. ولكي يكون حكم وساطته ناجحاً بالكلية كان من الضروري أن يعطى حكماً مطلقاً حيث قال: "دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨: ١٨). هذا ما قاله عندما عهد إلى تلاميذه تبشير العالم أجمع، ولقد سجّل الوحي الإلهي على لسان بولس قوله: "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه". الذي أردف قائلاً أيضاً: "آخر عدو يبطل هو الموت" (كورنثوس الأولى ١٥: ٢٥و٢٦). وقد أمر المسيح تلاميذه بأن يذهبوا وأن "يتلمذوا جميع الأمم" (متى ٢٨: ١٩). ويؤكد من انتماء تلك الشعوب للإله الحقيقي بواسطة المعمودية "عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"، والرسالة التي يجب أن يتضمنها ذلك التبشير العام هي بالطبع اللب الحيوي للإنجيل "وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (متى ٢٨: ٢٠). هذا وسنبحث في الموضوع مليّاً عندما ندرس موضوع "المسيح كملك".

الخطوة الرابعة والأخيرة في ارتفاع المسيح ستكون مجيئه الثاني بقوة ومجد عظيم ليكون الديّان النهائي للعالم أجمع. فسيظهر حينئذٍ في جسد قيامته محاطاً بالملائكة وسيجلس على عرش مجده. (متى ٢٥: ٣١). "وستراه كل عين" (سفر الرؤيا ١: ٧).هذا هو يسوع ذاته الذي حينما كان على الأرض رُفض من شعبه وحوكم كمجرم أمام محكمة بيلاطس ودين بظلم وجلس مع الأثمة. وسينال الناس من شفتي السيد خبر ثوابهم أو عقابهم النهائي. وحينئذٍ إذ يكون عهد وساطته قد تمّ وتوّج بالنجاح الكامل فإنه يسلّم الملكوت للآب ويستعيد علاقته الأصلية بأقنومي الثالوث الآخرين. ويشترك تماماً بالمجد الذي كان له مع الآب قبل إنشاء العالم. وسيملك مع الآب والروح القدس إلى الأبد على المفديين، "ومتى أخضع له الكل فحينئذٍ الابن نفسه سيخضع أيضاً للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل" (١كورنثوس ١٥: ٢٨).

هذا إذاً ما نعنيه بارتفاع المسيح، ويجب أن نعيد إلى ذاكرتنا أنه لم تكن طبيعة يسوع الإلهية بل طبيعته البشرية التي ارتفعت، أي أن الإنسان يسوع المسيح هو الذي أخذ جسد القيامة وصعد إلى السماء والذي يشترك في حكم الوساطة، والذي ستراه كل الشعوب حينما يأتي ثانيةً إلى العالم في اليوم الأخير.

 All rights reserved © 2008-2018

الفصل السادس:

عصمة المسيح

إن التعرّض لأمر عصمة المسيح وعدم ارتكابه لأي خطأ أو شر وتوافر كافة مزايا الكمال والطهارة والقداسة في حياته هو أمر في غاية الحيوية بالنسبة للعقيدة المسيحية عن المسيح بمجملها. إن عصمة المسيح هي العمود الفقري لصموده النهائي وثبات مؤهلاته لأن يكون وسيطاً حقيقياً بين الله والناس. فلو أنه أخفق ولو في زلّة واحدة خلال حياته على الأرض لتهدّم كل البناء الذي جاء لإقامته.

عصمة المسيح قبل كل شيء هي المحك الأساسي لكون المسيح ذا طبيعة إلهية. ثم إنها الدليل على أنه كان الإنسان الصالح الوحيد الذي بمقدرته المبنية على الطهارة والكمال تمكّن من حمل عقاب الآخرين. إضافةً إلى ذلك فإن قيامة المسيح من الموت ما كانت ممكنة إطلاقاً لو لم يتمتع المسيح بتلك العصمة المطلقة عن الخطأ. لعل تلك الحقائق هي من أكثر معطيات الإنجيل نصاعةً وجلاء.

من غير المناسب بالطبع أن لا نبدأ في عرض موضوعنا هذا بالنظر إلى أوصاف المسيّا المنتظر التي طرحتها تنبؤات أنبياء وأسفار العهد القديم. فقد كان من المفروض فيه أن يكون تقي الله الذي لم يرَ فساداً (مزمور ١٦: ١٠) وأن يكون عمانوئيل وليد العذراء الذي يعرف "أن يرفض الشر ويختار الخير" (نبوة أشعياء ٧: ١٥و١٦)، وهو "عبد الله الذي يعقل ويتعالى ويرتقي ويتسامى جداً.... بحبره شفينا... الرب وضع عليه إثم جميعنا.... على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غشّ... البار...." (نبوة أشعياء ٥٣). من هنا كان يجب على الملاك الذي بشّر مريم أن يعرّفها بأن المولود منها هو "القدّوس.... ابن الله" (لوقا ١: ٣٥).

لكن الشهادة لعصمة المسيح في متضمنات الوحي الإلهي لم تكن مجرد تصريحات، بل إنها كانت مدعمة بحقائق ملموسة وظاهرة للعيان وموضوعية لدرجة أذهلت من عاصروا المسيح ولفتت انتباههم كينونة اختلافه عن باقي البشر. هذا مهم للغاية لأن الكثيرين أخذوا بمعجزات المسيح لدرجة أنهم اعتقدوا بأن ذلك هو السبب الجوهري الوحيد الذي سحر الجموع التي تبعته وآمنت به وإن لفترة وجيزة على الأقل. صحيح أن الأغلبية الساحقة بين الذين تبعوا المسيح في مطلع خدمته اجتذبتهم القوة الخارقة التي سيطر فيها على العوامل الطبيعية. لكن الواقع أن ذلك لم يكن العامل الوحيد لاجتذاب أي من أتباعه ورسله الذين التصقوا به وكرّسوا حياتهم لخدمته. لقد كانت لأخلاقه لمعان وطهارة، وكان لأسلوب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ودوافع حياته أعظم الأثر وأعمق الواقع على هؤلاء، بل لعّل ذلك هو العامل وراء حياة الطهارة والقداسة التي مارسها ملايين المسيحيين عبر الأجيال.

الشهادة لعصمة المسيح لم تأتِ من ملائكة الله والمؤمنين فحسب، بل أيضاً من بعض أعدائه. مثال ذلك ما ورد على لسان الخائن يهوذا الذي أسلمه للموت مقابل حفنة حقيرة من النقود. فهو إذ شعر بالندم على عمله المرذول هذا ألقى بتلك النقود على الأرض أمام أولئك الذين أعطوه إياها قائلاً: "قد أخطأت إذ سلّمت دماً بريئاً" (متى ٢٧: ٤). ثم إن زوجة الحاكم بيلاطس التي أزعج منامها خبر القبض على يسوع وتسليمه لسلطان زوجها للمحاكمة قالت لزوجها: "إياك وذلك البار" (متى ٢٧: ١٩). وبيلاطس نفسه إذ أدرك سمو وطهارة المسيح، وبعد أن منعه جبنه وخوفه من اليهود على مركزه من إطلاق سراح المسيح قال لهم: "إني بريء من دم هذا البار" (متى ٢٧: ٢٤)، أما ذلك الذنب الذي كان أحد الاثنين الذين صلبا معه، إذ أدرك براءة وطهارة المسيح صرّح قائلاً: "أما نحن فبعدلٍ ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله" (لوقا ٢٣: ٤١). كما أن القائد الروماني للمجموعة العسكرية التي أشرفت على صلبه إذ صعقته حقيقة السمو الأخلاقي والأدبي للمسيح المصلوب قال: "حقاً كان هذا ابن الله" (متى ٢٧: ٥٤).

لكن شهادة المؤمنين والرسل لعصمة المسيح لا تقل أهميةً عن تصريحات هؤلاء، خاصةً وهم مجموعة الناس الذين تقرّبوا إليه وتعرّفوا على ما قد نسميه بحياته الخاصة. وهم بالطبع أول من تقع عليه مسؤولية دحض إدعاءات المعارضين، ولذلك كان لزاماً عليهم أن يكونوا الأكثر حرصاً على عدم التورط في تصريحات أو أقوال يستعملها أعداؤهم لمحاولة إثبات ضلالهم. ومع ذلك نجد أن التردد لم يطرأ ببالهم وهم يفصحون عن عصمة سيدهم عن الخطأ. الرسول بطرس قال عنه: "قدّوس الله" (يوحنا ٦: ٦٩). و"لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر" (رسالة بطرس الأولى ٢: ٢٢)، والرسول يوحنا قال عنه: "ليس فيه خطية" (رسالة يوحنا الأولى ٣: ٥). أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فقال: "مجرّب في كل شيء مثلنا (ولكن) بدون خطية" (٤: ١٥)، وقال: "بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب" (٩: ١٤). ثم يأتي دور الرسول بولس مضطهد أتباع المسيح الذي اهتدى بعد ذلك وقال عن المسيح: "لم يعرف خطية" (٢كورنثوس ٥: ٢١).

بيد أن الوحي الإلهي يسجل لنا كيف أن المسيح كان قد وضع نصب عينيه منذ البداية الطاعة الكاملة والمطلقة لشريعة الله وكيف أنه لم يتزحزح عن إصراره هذا حتى قاده ذلك إلى الموت (راجع رسالة فيلبي ٢: ٨). وتصريحات المسيح نفسها تدل دلالة قاطعة على وعيه الدائم بضرورة القيام دوماً بما يرضي الله (يوحنا ٧: ٢٩). كان يسوع في صراع مستمر ضد مغريات إبليس الهادفة لإسقاطه وتفشيل مهمته الخلاصية، والواقع أن مواجهته المباشرة مع عدو الخير كانت جزءاً لا يتجزأ من عملية التحضير لخدمته الجهارية، بل إنها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كانت مفتاح تلك الخدمة لأنها كانت تمثل الحاجز الرئيسي الذي كان يجب عبوره قبل البدء في تلك الخدمة. عندما نقرأ ما دوّنه الوحي الإلهي بهذا الخصوص نرى أن محاولات إغراء إبليس ليسوع في البرية كانت مبنية على نفس عناصر الإغراء التي تعرّض لها أبوينا آدم وحواء (قارن تكوين ٣: ١-٧ مع لوقا ٤: ١-١٣). تلك العناصر تركزت على شهوة الجسد (الأكل) وشهوة العيون (المنظر الخارجي المغري للأشياء) وشهوة العظمة الاجتماعية (أي تحسين وضع الفرد ومركزه الاجتماعي). وبينما الرغبة في أكل ثمرة الشجرة المحرمة والتمتع بمظهرها الجميل والسعي للوصول إلى مركز الإله الخالق (الذي وعدت الحية حواء به) كانت قد أضعفت صمود حواء وآدم وأسقطتهما في العصيان، فإن المسيح استطاع، ورغم عظمة وفداحة جوعه بعد أربعين يوماً من الصوم والضعف الجسدي، أن يرد إبليس ويقهره بعد كل هجوم. آدم وحواء لم يثبتا في كلمة ومواعيد الله وصدّقا تشكيك الشيطان في صدقها. أما يسوع فكان متسلحاً بكلمة الحق الموحى بها من الله بالذات التي بواسطتها صدّ يسوع كل تيارات الهجوم الشيطانية. عندما عاود إبليس الكرّة الهجومية محاولاً إغراء يسوع وإلهائه عن تكميل مهمته الخلاصية، كان يسوع واعياً لذلك ووقف له بالمرصاد. وقد أخبر يسوع تلاميذه بذلك قائلاً: "... رئيس هذا العالم (أي الشيطان) يأتي وليس له فيّ شيء" (يوحنا ١٤: ٣٠).

ولعل أبرز وأعظم ما ورد في الوحي الإلهي من أدلة على عصمة يسوع عن الخطأ هو ما قاله يسوع في مواجهته للقيادات اليهودية الدينية التي بنت حياتها على تقوى خارجية زائفة مفعمة بالرياء. فبعد أن قال لهم بأنهم ينتسبون إلى إبليس الكذّاب والقتّال وبأنهم ينفّذون شهواته الشريرة بالذات نراه يتحداهم مشيراً لعصمته وإلى تلك الهوة الأخلاقية والروحية الساحقة التي تفصله عنهم فيقول: "من منكم (يستطيع أن) يبكتني على خطية" (يوحنا ٨: ٤٦). والمسيح هنا لم يكن يقصد التمييز ما بين كماله وعصمته وبين شر وفساد ورياء هؤلاء القادة فحسب، بل إنه طرح وبدون تردد حقيقة تميزه عن كافة الجنس البشري بذلك الكمال وتلك العصمة.

صحيح أن يسوع في تجسده خضع لكافة مغريات وتجارب السقوط في العصيان التي يتعرض لها البشر، لكنه هو وحده لم يسقط، وهو وحده لم يكن من الممكن أن يفشل، لقد كان من المستحيل له أن يرتكب خطية، لأنه وهو في طبيعة بشرية محدودة كان لا يزال يتمتع بطبيعة إلهية، والله لا يمكن أن يرتكب خطأ. هذا أمر جوهري للغاية بالنسبة لتأهله لأن يأخذ على عاتقه تلك المهمة الخلاصية الهامة التي حملها. من هنا كان لاتساع بل ولعدم محدودية عصمته وكماله الحق في تحمل نتيجة خطية عدد لا يحصى من بني البشر. من هنا أيضاً مثّل انتصاره على الموت، الانتصار على الخطية بالذات التي تقودهم إلى الموت،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبالتالي تأمين الحياة الأبدية الأكيدة لهم وليس مجرد الوفاء بمتطلبات العدالة الإلهية بالنيابة عنهم. (راجع كورنثوس الأولى ١٥: ٥١-٥٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجزء الثالث

العلاقة ما بين الطبيعتين

الفصل الأول:

ابن الله وابن الإنسان

أولاً: يسوع المسيح ابن الله

إن لقب "ابن الله" هو من أهم الألقاب المنسوبة للمسيح، فهو اسم يسترعي الكثير من الانتباه لكرامة المسيح وخاصةً من جهة ألوهيته التي تدل على أنه مؤهل تماماً للتحدث عن أمور الله. إنه ذلك الجانب من طبيعته الذي حاز إعجاب نثنائيل عندما أدرك مندهشاً بأن المسيح له إلمام بماضيه المستور، لذلك هتف قائلاً: "يا معلّم أنت ملك إسرائيل" (يوحنا ١: ٤٩). أما المعارضة لطبيعة المسيح الإلهية والاشمئزاز منها فقد اتضحت جلياً في محاولة التشكيك التي أجراها إبليس عندما تحدّى المسيح قائلاً: "إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً" و"إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل" (أي من جناح الهيكل العلوي) (متى ٤: ٣و٦). هذا حدث أيضاً عند إخراج المسيح للشياطين الذين صرخوا عند خروجهم قائلين: "ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟ أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟" (متى ٨: ٢٩)، أما تعليق المسيح عن القصد من موت لعازر وإقامته له من الموت فكان "لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به" (يوحنا ١١: ٤). أما اعتراف التلميذ بطرس عن المسيح في قوله له: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" (متى ١٦: ١٦) فكان نتيجةً لإدراكه لألوهية المسيح. وصرّح البشير يوحنا أيضاً بأن القصد من كتابته لبشارته إنما كان "لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يوحنا ٢٠: ٣١).

يجب أن نفهم هذين التعبيرين "الآب" و"الابن" على أساس وجهة نظر المفهوم العبري في الكتاب المقدس بأن "الآب" و"الابن" هما نظيران متطابقان ومتساويان في الطبيعة والكيان. ففي كل مرة يدعو فيها الكتاب المقدس المسيح بلقب "ابن الله" فالقصد هو التشديد على حقيقة وأصالة ألوهيته. فهو ذو الطبيعة نفسها التي للآب تماماً، كما أن الأب البشري تكون طبيعة ابنه طبيعة بشرية مطابقة لطبيعته، فالمسيح ابن الله هو مثل أبيه في جوهر طبيعته الإلهية، تلك الطبيعة التي لا يشارك فيها الله أي مخلوق. الآب والابن والروح القدس هم واحد معاً في جوهرهم وطبيعتهم وأزليتهم، وهم متساوون في القدرة والمجد، كانوا ولا زالوا موجودين في أقانيمهم الثلاثة المميزة. وعلينا أن نتذكر بأن الاسمين "الآب" و"الابن" ليسا بالضرورة كافيين للتعبير الكامل والتام عن العلاقة التي تربط الأقنومين الأول والثاني

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الثالوث، ومع ذلك يبقى هذان الاسمان أفضل ما لدينا، نحن البشر، للتعبير عن هذه العلاقة. وعلاوةً على ذلك فإنهما يعبران لنا في الكتاب المقدس ليس فقط عن وحدتهما في الجوهر والطبيعة، بل أيضاً عن علاقة الود والمحبة المتبادلة بينهما. المسيح يسوع هو ابن الله الأزلي أما نحن فنصير أولاد الله المتبنين بالنعمة. المسيح هو ابن الله بحقه الأزلي الخاص أما نحن فبالتبني نصبح أولاداً لله عندما نولد من جديد وتصبح الحياة الجديدة في المسيح من نصيبنا، أي عندما يحسب لنا برّه وطهارته. وصيرورتنا أولاداً لله لا تعني بأن تكون لنا الألوهية التي للمسيح، لكنها تعني بأننا قد عدنا إلى مشابهة أخلاقية وروحية أكمل من تلك التي كانت لنا عند الخليقة والتي تشوهت وتحطّمت ونُقضت معالمها بواسطة الخطية. الله هو أب الرب يسوع المسيح بمعنى خاص يختلف كل الاختلاف عن كونه أب المؤمنين به. صحيح أن يسوع تحدّث لتلاميذه عن الله كأبيهم الذي في السموات، لكنه في الوقت نفسه أظهر بذلك أن أبوّة الله لهم هي بمعنى محدود ومقيد وليس بالمعنى غير المحدود الذي يرتبط هو فيه بأبوة الآب. فبنوّتهم لله هي نتيجة ارتباطهم بالمسيح الذي هو الابن الحقيقي الكامل لله. وأوضح المسيح ذلك في قوله لتلاميذه: "الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت" (يوحنا ١٦: ٢٧). هذا ما عبر عنه البشير يوحنا بجمال باهر حين قال: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه" (يوحنا ١: ١٢).

لا يتفق الكتاب المقدس مع النظرية الشائعة بين البعض والذين تشرّبوا الفلسفة الدهرية صاحبة النظرية التي تدّعي بأن الجميع هم أخوة. حسب تعليم الكتاب المقدس لا تبنى البنوة على تلك العلاقة التي نتجت عن كون الله هو خالق البشر أجمعين، إنما هي مبنية على العلاقة الروحية التي يحصل بواسطتها البشر على الخليقة الجديدة في المسيح. وكخليقة جديدة يصبح المؤمنون أولاداً لله بإيمانهم بالمسيح. إن الله هو أب الجميع كخالق الجميع بمعنى كونه مصدر حياتهم، لكن أولاده الحقيقيين بين البشر هم الذين "ولدوا من جديد" (يوحنا ٣: ٣). "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كورنثوس ٥: ١٧). "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رومية ٨: ١٤). كل المسيحيين الحقيقيين هم "أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" (غلاطية ٣: ٢٦). "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل ابراهيم وحسب الموعد ورثة" (غلاطية ٣: ٢٩).

خارج دائرة التبني بواسطة المسيح كلمة "أب" معناها سطحي جداً، لأنه في المسيح وحده نقدر أن نعرف الله بالحقيقة: "وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب، ومن أراد الابن أن يعلن له" (متى ١١: ٢٧). أما أولئك الذين يبقون في خطيتهم وسقوطهم، دون تجديد روح الله فهم ليسوا أولاداً لله حسب مفهوم كلمة الله، بل هم أولاد إبليس، لأنهم كإبليس وشركاء له في طبيعته الشريرة، لأنهم "بالطبيعة أبناء الغضب" (أفسس ٢: ٣). قال يسوع لمقاوميه:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تفعلوا" (يوحنا ٨: ٤٤)، "أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم... لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأنني خرجت من قبل الله وأتيت" (يوحنا ٨: ٣٨و٤٢).

هذا ما علّمه أيضاً الرسول بولس، عندما قال للساحر: "أيها الممتلئ غش وكل خبث، يا ابن إبليس، يا عدو كل برّ، ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة" (أعمال الرسل ١٣: ١٠). وعندما نؤمن بالمسيح نصير أولاداً لله لأنه "سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح نفسه" (أفسس١: ٥). أما المسيح فهو ابن الله بكل ما للتعبير من معنى، إذ أنه قال عن نفسه: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). و"من رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ١٤: ٩) و"من لا يكرم الابن لا يكرم الآب" (يوحنا ٥: ٢٣)، أما بولس فقد قال عنه: "صورة الله غير المنظور" (كولوسي ١: ١٥) وإن "الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (٢كورنثوس ٥: ١٩) و"فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (الرسالة إلى كولوسي ٢: ٩). أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فقد قال بأن المسيح هو بالنسبة لله "بهاء مجده ورسم جوهره" (عبرانيين ١: ٣). وإضافةً إلى كل ذلك فإن عظات السيد المسيح التي نجدها في العهد الجديد إنما تدل دلالة قاطعة على إحساسه ووعيه الدائم بألوهيته لأنه كان يدرك إدراكاً منقطع النظير بالنوعية الخاصة لعلاقته بالله الآب، وكذلك كان الله الآب مدركاً كل الإدراك بنبّوة المسيح يسوع الفريدة.

إن معنى المساواة لله والوحدة معه كان واضحاً في اللقبين "الآب" و"الابن" ويبدو جلياً من جواب اليهود للمسيح عندما شفى يسوع أحدهم في يوم السبت، قال: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل"، ونتج عن كلامه هذا ما يلي: "كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً أن الله أبوه معادلاً نفسه بالله" (يوحنا ٥: ١٧و١٨). بعد ذلك حاولوا قتله رجماً بالحجارة قائلين له: "لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً" (يوحنا ١٠: ٣٣). وهذا القول بالذات أي بأن المسيح هو ابن الله، هذا كان محور تهمة رئيس الكهنة له التي أدّت لإصدار مجلس السبعين (السنهدريم) الحكم بالموت على المسيح (راجع متى ٢٦: ٦٣-٦٦)، وقتئذٍ قال اليهود لزعمائهم: "لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله" (يوحنا ١٩: ٧). أما يسوع فلم ينكر تلك التهمة قط، بل على العكس اعترف علانيةً بصحة قولهم. وقد علّق على موضوعنا هذا أحد كبار علماء التفسير قائلاً: "كما أنه (أي المسيح) أخذ عن أمه مريم الطبيعة البشرية، هكذا أخذ عن أبيه السماوي الطبيعة الإلهية وهو أمر مختلف ومتميز عن ناسوته. يشير الكتاب المقدس إلى المسيح باسمين داعياً إياه أحياناً بـ "ابن الله" وأحياناً أخرى بـ "ابن الإنسان". أما عبارة "ابن الإنسان" فلا يمكن إلاّ وأن تفهم على أساس أنه أنموذج ما يجب أن يكون عليه الإنسان. هذا هو ما يوحي إليه الأصل العبري لـ "ابن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنسان" والذي يشير على أنه ذرية آدم. كذلك فإن تسمية المسيح بـ "ابن الله" تشير إلى ألوهيته وكيانه الأزليين. فمن البديهي أن يشير كونه "ابن الله" إلى طبيعته الإلهية تماماً كما يشير كونه "ابن الإنسان" إلى طبيعته البشرية". (مبادئ الديانة المسيحية – الفصل الأول ص/ ٤٤٢).

إذاً يتضح لنا بأن لقب "ابن الله" كان المقصود منه إبراز المسيح في طبيعته الجوهرية كإله، فالذي "ولد من نسل داود بحسب الجسد هو أيضاً نفسه الذي تعيّن ابن الله بقوة" (رومية ١: ٣و٤). وذاك الذي، حسب الجسد، أتى من نسل عبراني قد تعين أيضاً "على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد" (رومية ٩: ٥). بالنتيجة علينا أن نؤمن بالابن كما نؤمن بالآب، وأن نكرم الواحد كما نكرم الآخر.

ثانياً: يسوع المسيح ابن الإنسان

استعمل يسوع لقب "ابن الإنسان" مراراً كثيرة عندما أشار إلى نفسه، ويبدو أن هذا اللقب كان مفضلاً لديه. وعبارة "ابن الإنسان" كانت موضع الكثير من الدراسات والنقاش عبر التاريخ المسيحي والمعنى الحقيقي والرئيسي الذي ينطوي عليه لقب "ابن الإنسان" هو أن يسوع كان إنساناً بكل معنى الكلمة. إنه الإنسان المثالي الكامل. نرى في المسيح الطبيعة البشرية في كمالها، دون تشويه ولا تلوث، وهو الأنموذج والمثال الذي بواسطته ينسق البشر حياتهم. وبما أن للمسيح هكذا طبيعة بشرية فهو ذو علاقة حيوية بجميع أعضاء الجنس البشري، وبناءً على تدبير الله له الحق في تمثيلهم جميعاً أمام الحضرة الإلهية.

يستعمل المزمور الثامن هذا اللقب إشارةً إلى البشر عامةً فيقول: "من هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده؟" (مزمور ٨: ٤). لكن العهد الجديد إذ ينسبه للمسيح فإنه يعطي الاصطلاح مدلولات تفوق البشر، ففي سفر دانيال ومن ضمن النبوة عن عودة المسيح إلى السماء يرد في كلمة الله: "وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدّامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" (دانيال ٧: ١٣و١٤). هذا فهمه اليهود بدون تردد على أساس كونه إشارة لهوية المسيّا المنتظر. وأشار المسيح نفسه إلى تلك النبوة وهو على يقين تام من انطباقها عليه فقال: "وحينئذٍ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. و.....تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السموات إلى أقصائها" (متى ٢٤: ٣٠و٣١- راجع أيضاً لوقا ٢١: ٣١).

تُنتقى الأسماء عادةً بقصد إبراز ملامح فريدة معينة، كإطلاق لقب على إنسان ما بقصد إظهار خلاصة شخصيته. فيقال عن فلان "الطيب القلب" وعن آخر "النبيل" كما غيرها من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الألقاب. واللقب هنا دلّ على شخصية صاحبه وأعطى فكرة عن نوعيته. فالناس لا يسمون تبعاً لملامح مشتركة مع غيرهم، بل تبعاً لتلك الملامح الخاصة التي تميزهم عن أندادهم من البشر. بالنسبة للمسيح فإنه منذ الأزل تميّز بالألوهية التي شارك فيها الآب والروح القدس. فهو شريك لكل من أقنومي اللاهوت الآخرين في ميزات حضورهما في كل مكان وأزليتهما وعلمهما بمطلق كل شيء. أما موضوع التجسد فكان مختصاً به، وبه وحده. تلك هي ميزته الخاصة في نطاق اللاهوت. من هنا لم يكن مدهشاً أن يكون "ابن الإنسان" قد أوجد وطبّق على الزائر المتوقع للأرض ولساكنيها.

إضافةً إلى ذلك ضرورة ملاحظة كون لقب "ابن الإنسان" استعمل من قبل يسوع عندما تحدث عن مجيئه وذهابه وعودته بالنسبة لوجوده على الأرض. فقد جاء في الإنجيل حسب (متى ٢٤: ٤٤ و٢٥: ٣١ و٢٦: ٢٤) ما يلي: "... لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان" و"متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه"

"إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه"

كما جاء في الإنجيل حسب (لوقا ١٩: ١٠) "ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك". وكذلك في الإنجيل حسب (يوحنا ٦: ٦٢) "فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً".

لقد دعي لقب "ابن الإنسان" على نحو ملائم جداً لقباً "انتقالياً" ليس فقط لما يعنيه ذلك من تكاتف المسيح مع الجنس البشري تكاتفاً تاماً لدى تجسّده، بل أيضاً لما في ذلك من إشارة لأصله الأسمى قبل التجسد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني:

انسجام الطبيعتين

لعل أهم وأخطر الانحرافات العقائدية في تاريخ المسيحية هو ما يتعلق منها بتشويش العلاقة القائمة ما بين طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية. والواقع أن تلك الانحرافات تركزت بصورة خاصة في الإخلال بالتوازن القائم ما بين هاتين الطبيعتين، وذلك بتفضيل إحداها على الأخرى أو إعطاء الواحدة مكانة ما، فيها تفقد الأخرى نصيبها أو دورها في اتزان البناء القائم في شخصية يسوع المسيح. لكن تلك الانحرافات كثيراً ما ارتكزت على إساءة فهم فقرة أو أخرى من متضمنات الوحي الإلهي. وإساءة الفهم هذه طالما وجدت مسبباتها في استخلاص تعابير واردة في الكتاب المقدس وتفريغها من قرائنها النصية الواردة فيها وتجاهل مواقعها ضمن مجمل ما ورد في سجلات الوحي الإلهي المعينة التي حوتها، خصوصاً وأن سجلات الوحي الإلهي تشتمل على تعابير فيها تشديد على طبيعة المسيح الإلهية، وأخرى فيها تشديد على طبيعته البشرية، إلى جانب تلك التي تجمع ما بين خواص الطبيعتين. من هنا كانت إمكانيات إساءة الفهم، لأن البعض بنوا استنتاجاتهم على أساس الافتراض بأن المسيح كان إلهاً فقط وفتّشوا على ما يؤكد مزاعمهم هذه بين طيات الوحي الإلهي. والبعض أكدوا على أنه مجرد إنسان وسعوا إلى إثبات ذلك من خلال نصوص الوحي الإلهي في تلك التعابير التي تركز على جانب الطبيعة البشرية فيه. وهكذا ظهرت البدعة تلو الأخرى تشير إلى خطأ فادح أساسي ألا وهو عدم التمسك بالهيكل الكامل للحقيقة.

الواقع التاريخي يشهد ليسوع المسيح الإله والإنسان. فيسوع تمتع بقدرات فاقت جداً معطيات الطبيعة البشرية، لكن من جهة أخرى فإن طبيعته البشرية طابقت تماماً تلك التي تمتع بها معاصروه من البشر. ومع أنه يصعب علينا، بل ولا يجوز لنا أن نحاول الفصل المطلق بين العناصر الطبيعية وفوق الطبيعية في شخص المسيح، فإن دلائل التمييز ما بين الطبيعتين البشرية والإلهية الكامنة وراء كل من تلك الدلائل والبراهين التاريخية المتعلقة بطبيعتي السيد المسيح هي اثنان: العهد الجديد والمعتقدات العلنية الراسخة عند المؤمنين الأوائل الذين عاصروه.كان أمراً بديهياً للذين اهتدوا للإنجيل وآمنوا بالمسيح أنه الله المتجسد. فهذا الأمر لم يكن في حاجة إلى إثبات بالرغم من تنوع الدلائل التي تشير إلى ذلك بانسجام مطلق. وهذه الدلائل لم تترك لأحد مجالاً للشك في صدقها واستقامتها. فهل كان ممكناً ليسوع المسيح أن يتمتع بطبيعته بانسجام كامل؟ تلك لم تكن القضية، بل كان ذلك أمراً مفروغاً منه إذ لم يكن من داعٍ للبحث عن دلائل عليه. فالذين عاصروه وعايشوه بالذات هم الذين استخدمهم الله في تدوين ما أوحى به عن هذا الأمر لأجيال المؤمنين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اللاحقة من بني البشر، إذ سجلوا شهاداتهم عنه: "الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا... قد رأينا ونشهد ونخبركم.... ونكتب إليكم هذا...." (رسالة يوحنا الأولى ١: ١-٤).

في التجسد أضاف الرب إلى طبيعته الإلهية نوعية أخرى هي الطبيعة البشرية (الأمر الذي من شأنه تكوين شخصية مزدوجة). لم تكن الإضافة بمعنى وجود شخصية إضافية، بل بمعنى إضافة نوعية بشرية إلى الطبيعة اللاهوتية. ففي الوقت الذي لم يتخلّ فيه عن طبيعته الإلهية لم يتخذ لنفسه شخصية جديدة، بل أخذ لنفسه جميع الجوانب البشرية الاعتيادية التي يتمتع بها البشر، أي أنه أصبح إلى جانب كونه إلهاً، إنساناً أيضاً. هذا كان في طبيعتين متميزتين، ولكنه كما كان منذ الأزل، بقي هو ذاته شخصاً واحداً.

من المؤكد أن هذا الأمر يتضمن ما يمكن تسميته لغزاً لا يمكن استيعابه بشكل كامل، لكن طبيعة ذلك اللغز ليست غريبة على اختبارنا نحن البشر، فذلك اللغز بالذات كامن في طبيعتنا البشرية نحن أيضاً. إن الإنسان يحتوي على جوهرين مختلفين في الأساس. فهو من جهة روح أو نفس غير مادية، خاضعة لتأثيرات فكرية وروحية، ومن الجهة الأخرى هو جسد مادي خاضع لكل العوامل والقوى الفيزيائية والكيميائية والكهربائية التي تعمل في العالم من حوله. هذان الجانبان في الطبيعة البشرية لم يصهرا ولم يختلطا ولم تكن نتيجتهما هيكلاً ثالثاً دعي بالإنسان، بل إن هذين الجانبين بقيا قائمين أحدهما إلى جانب الآخر في انسجام كامل، كما بقيت خواص كل منهما متميزة في الإنسان ذاته. وظلّ كل منهما خاضعاً لشرائع دائرته بكل دقة كما لو أنه كان منفصلاً انفصالاً كاملاً عن الآخر. ومع ذلك، عند الإشارة إلى أي من هذه الخواص الإنسانية إنما تكون الإشارة إلى شخصه بالذات. فلا نقول جسد فلان عمل كذا أو نفس فلان قالت أو فكّرت كذا، بل نقول فلان عمل وفكّر وقال كذا وكذا.

هكذا الأمر بالنسبة لطبيعتي المسيح، فمع أنهما متميزتان إحداهما عن الأخرى فإن ما ينسب لإحداهما إنما ينسب لشخص المسيح ككل. من هنا كانت ضرورة الحذر من السقوط في إساءة فهم تلك التعابير الإنجيلية التي تبدو وكأنها متناقضة في وصفها للمسيح. فمنها ما يشير إلى كون المسيح شخص غير محدود، وهي إذا ما تعمقنا في قرينة ورودها تشير إلى طبيعته الإلهية، ومنها ما يشير إلى محدوديته، وهي تلك التي ترد في قرينة الحديث عن طبيعته البشرية. فهو إذاً محدود كإنسان ولكنه غير محدود كالله، وهو ذو بداية كإنسان عند ولادته في بيت لحم، ولكنه أيضاً هو الله الموجود أزلاً. وهو كان على علم بكل شيء وفي نفس الوقت كانت طبيعته البشرية محدودة المعرفة. فهو من جهة تركيب طبيعته "من نسل داود حسب الجسد" كما يقول الكتاب المقدس، لكن الكتاب المقدس يقول أيضاً بأنه "تعيّن (أي تبرهن) ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رسالة رومية ١:

 All rights reserved © 2008-2018

٣و٤). خلاصة الأمر هي أن الكتاب المقدس يقدمه على أساس أنه "ابن داود"، وفي نفس الوقت هو "الأزلي قديم الأيام"، ابن مريم هو، وفي نفس الوقت "إله فوق الجميع، مبارك إلى الأبد". هو الشخص الذي شعر بالإرهاق أثناء رحلاته الصعبة مشياً على الأقدام، وهو في نفس الوقت من يقول عنه الوحي الإلهي "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته"، وهو الذي "جاع أخيراً" بعد أربعين يوماً من الصوم، وفي نفس الوقت هو نفس الشخص الذي أشبع الآلاف وقال عن نفسه "أنا هو خبز الحياة... الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد..." (يوحنا ٦: ٤٨-٥١). هو الذي قال أنه لا يقدر أن يعمل بدون الآب وفي نفس الوقت هو الذي بدونه "لم يكن شيء مما كان". إنه "عظم من عظامنا ولحم من لحمنا"، ومع ذلك تمتع بمساواة مطلقة مع الله. هو الذي أخذ على نفسه "صورة عبد" وهو نفسه الذي تمتّع بكونه "صورة الله". قال الوحي الإلهي عنه أنه "ينمو في القامة" كما قال عنه أنه "هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد"، "يتقدم في الحكمة" ومع ذلك فقد عرف كل شيء عرفه الله. قيل عنه "مولود تحت الناموس (الشريعة)" لكنه قال عن نفسه أنه "رب السبت وأعظم من الهيكل"، نفسه حزنت واضطربت وهو "رئيس (أو مصدر) السلام". هو الذي سار إلى الموت تحت إمرة الحاكم الروماني، كما أنه هو الذي دعي "ملك الملوك ورب الأرباب"، وهو الذي قال عن ذلك الموت: "أضع نفسي... ليس أحد يأخذها مني (أي يقتلني) بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (راجع يوحنا ١٠: ١٧و١٨). لقد صعد إلى السماء وغاب عن تلاميذه وكنيسته لكنه هو نفس الشخص الذي قال: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون في وسطهم" وقال لتلاميذه قبل الصعود بأنه سيكون معهم "إلى انقضاء الدهر".

إذاً الوحي الإلهي يقدّم المسيح لنا أحياناً كإله وأحياناً كإنسان لكي نفهمه ونعرفه ونؤمن به كشخص واحد في طبيعتين، كإله وكإنسان، وليس لكي يعطينا الخيار ما بين واحدة من طبيعتيه هاتين. إنه الله المتجسد الذي كانت حياته الأرضية تعبيراً عن أن الله جاء إلى عالم البشر وكشف عن نفسه ووضع الأساليب التي يمكن للبشر استيعابها، بصيرورته إنسان مثلهم. وهكذا فإن طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية اتحدتا لهكذا درجة بحيث أن الصفات أو الخواص المنسوبة لأي منهما نسبت إلى شخصية الواحد ككل، فسواء دعوناه يسوع أو المسيح، ابن الله أو ابن الإنسان، فإننا نقصد الإشارة إلى نفس الشخص. عندما نقول بأن يسوع عطش فإننا نعني أنه كشخص كامل في ألوهيته وناسوته وليس جسده فقط. وعندما نقول أنه تألم نقصد بتألمه كشخص وليس كمجرد جسد، وهو إذ أخذ مكان الإنسان على الصليب ومات عنه فإنه لم يعمل ذلك كإنسان فقط، بل إننا نعني أيضاً بأن الله في المسيح أخذ مكان الإنسان على الصليب ومات لأجلنا نحن البشر. كل ذلك يعبّر عن الحقيقة، لكن وجب علينا بالطبع أن نبقي نصب أعيننا حقيقة فرادة شخصه التي مكنتّه من إنجاز ذلك العمل الخلاصي المجيد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لعل أهم ما يواجهنا به الوحي الإلهي من تعابير في شأن انسجام طبيعتي المسيح هو ما نسب فيه إليه من أعمال وقوى وصفات تنطبق على الطبيعتين في إشارة جلية إلى المسيح الواحد. هذه التعابير التي تنطبق على طبيعتيه لا يمكن فهمها أو تفسيرها إلاّ من منطلق كون هاتين الطبيعتين متحدتين عضوياً بشكل غير قابل للفصم أو الانحلال في شخص واحد هو الإله الإنسان. فالوحي الإلهي الطاهر يقول عن أعداء المسيح "صلبوا ربّ المجد" (كورنثوس الأولى ٢: ٨) ويشير إلى "كنيسته التي اقتناها بدمه" (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨)، ويقول: "يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح" (تيموثاوس الأولى ٢: ٥). إن العبارة "مريم والدة الإله" التي يستعملها بعض المسيحيين تعكس شيئاً من الحقيقة، إذ أن المولود منها كان ابن الله، لكننا في نفس الوقت يجب أن نتذكر بأن مريم كانت والدة المسيح من جهة طبيعته البشرية فقط. لقد كان من الضروري لفادي البشر أن يكون إلهاً وإنساناً معاً. فمن جهة كونه إنسان هو من أجل أن يأخذ محل الإنسان فيتألم ويموت لأجله. فلو كان مجرد إله لما أمكنه عمل ذلك. وضرورة كونه إله هي لإعطاء القيمة والمدى غير المحدودين المتطلبين في الذبيحة الصالحة للتكفير عن خطايا البشر. من ناحية ثانية، لو كان المسيح مجرد إنسان لما كان بإمكانه الموت حتى عن شخص واحد. خلاصة الأمر إذاً أن طبيعته البشرية جعلت تألمه وموته ممكنان، بينما طبيعته الإلهية جعلت لهذين العنصرين: الألم والموت، القيمة والمدى غير المحدودين والصالحين لتمثيل عدد لا يحصى من الخطاة. هذا ما طرحه بوضوح بالغ يوحنا كالفن القائد الشهير للإصلاح الإنجيلي عندما قال: "لكي يمكن للإنسان أن يتصالح مع الله فقد كان لزاماً عليه وهو الذي دمّر نفسه بمعصيته أن ينفذ مطاليب العدالة الإلهية بتحمل عقاب خطيته، أما وأن الله في رحمته إذ أدرك استحالة ذلك على الإنسان فإنه كشف عن نفسه في المسيح كإنسان حقيقي وأخذ لنفسه صفة آدم الثاني ممثلاً بنفسه بني البشر وجاعلاً من نفسه بديلاً عنه في إطاعة شريعة الله، واضعاً جيده ثمناً للوفاء بمطاليب العدالة الإلهية، وهكذا تحمل بنفسه القصاص المتوجب على عصياننا جميعاً في طبيعة إنسانية معادلة لطبيعتنا التي فيها ارتكبنا ذنب العصيان. لأنه بما أنه كان من غير الممكن للطبيعة الإلهية الروحية الموت فإنه أضاف إلى طبيعته الإلهية طبيعة بشرية صالحة لذلك".

المسيح إذاً في تجسّده وحّد مع نفسه طبيعة بشرية وليس شخصاً آخر. أما شخصيته بقيت واحدة موحّدة متجانسة ومتناسقة دون تشويش أو اختلال.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث:

وظائف المسيح الرسمية الثلاث

إن الانسجام الكامل في طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية الذي تعرضنا له في الفصل السابق له موقع مركزي وحيوي فيما خصّ تحقيق جميع المقاصد الإلهية المتعلقة بعالم البشر وليس فيما خص عملية الخلاص وحدها. لكن تنفيذ عملية الخلاص هو جزء لا يتجزأ من مجمل تلك المقاصد. صحيح أن فداء بني البشر هو المحور الأساسي الذي ترتكز عليه مجموعة مخططات الله. وهذا طبيعي، لأن سقوط بني البشر بسبب عصيانهم لشريعة الله هو المحك الذي أوجب ليس فقط عملية التجسد والخلاص بل أيضاً جميع التأثيرات الفرعية التي لزم أن يخطط الله لاستئصالها أو إصلاحها أو إعادة بنائها. أما تحقيق المسيح لجميع هذه المقاصد الأزلية وعلى رأسها فداء البشر فقد جرى ضمن نطاق وظائف أو أدوار رسمية ثلاث، إذ توجب عليه أن يكون نبياً وكاهناً وملكاً.

أولاً: المسيح النبي

إن وظيفة المسيح النبوية كانت ضمن الخواص المميزة للمسيّا الذي تنبّأت عنه أسفار العهد القديم. والواقع أن النبوة الواردة بهذا الشأن كانت إحدى النبوات الواردة في الوحي الإلهي عن مجيء المسيح وقد جاءت على لسان النبي موسى: "يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك، من أخوتك مثلي. له تسمعون" (سفر التثنية ١٨: ١٥)، أما في العهد الجديد فقد أشار الرسول بطرس ضمن إحدى مواعظه العامة مشيراً إلى هذه النبوّة ومطبّقاً إياها على المسيح: "موسى قال للآباء أن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من أخوتكم. له تسمعون في كل ما يكلّمكم به". (أعمال الرسل ٣: ٢٢).

إن وظيفة النبوّة في الكتاب المقدس تختص بأولئك الذين تكلّموا للبشر بالنيابة عن الله. من الطبيعي أن يكون المسيح ذا مكانة خاصة ضمن دائرة أنبياء الله. والواقع أن هذا أمر حيوي بالنسبة لمهمة المسيح التي جاء إلى عالم البشر لتنفيذها. العديد من الأنبياء الحقيقيين كانوا قد سبقوا مجيء المسيح وجميعهم تكلّموا بكلام الله للشعب، لكن ما أوحى الله لهم به كان ذا طبيعة تمهيدية وغير مكتملة. لقد كانوا جميعاً يرمزون للمسيح النبي الأعظم الذي كانوا قد أتوا من أجل التمهيد لمجيئه.

يعتقد البعض بأن الله أرسل مزيداً من الأنبياء الواحد تلو الآخر، لعدم نجاح الأنبياء السابقين في إتمام مهماتهم أو لسبب حاجة الناس لمن يذكرهم بما سبق وأوحى به للأنبياء الذين أتوا في أجيال سابقة. لكن ذلك ليس مفهوم الكتاب المقدس. إن أنبياء الله لم يفشلوا، ولا واحد منهم، في تحقيق ما أراد الله تحقيقه عن طريقهم. أما سبب تعدد الأنبياء وتوالي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قدومهم من قبل الله في حقبة العهد القديم فمرجعه أن لكل منهم دوره في التمهيد لمجيء المسيح. من المهم للغاية أن ندرك هذه الحقيقة لأنها تعكس علينا إدراكاً صائباً لكون الوحي الإلهي عبر أنبيائه لا يعتريه تناقض أو نقصان بحيث أن الله يسعى لإصلاح ما تهدّم بإرسال مزيد من الأنبياء. الله لا يسمح بأي فشل في تأدية أنبيائه لمهمتهم ولا بأي تشويش يؤثر على ما ينقلونه منه للبشر الآخرين. لذلك لا يجوز لنا الاعتقاد بأي شيء من هذا القبيل، إلاّ إذا كنا نعتقد بأن الله غير جدّي فيما يعمل، أو أنه غير قادر على إنجاز ما يريد عمله، وهو تفكير خاطئ وغير صحيح عنه تعالى. فالله وهو كلّي السيادة، أعطى عصمة خاصة لأنبيائه حين دوّنوا الوحي كاملاً بدون خطأ. وهو في نفس الوقت، بحكمته وسلطانه، عمل على حماية ما دوّنوه، من التحريف أو الفقدان، عبر الأجيال.

لقد أدّى كل من هؤلاء الأنبياء دوره بكل أمانة وجدارة، مدعومين بقوة الله، في التحضير التدريجي لمجيء المسيح. فلو أن الله كشف عن كل شيء دفعة واحدة لما كان من المكن لبني البشر استيعابه. من هنا كانت ضرورة الطبيعة التدريجية والتقدمية للوحي الإلهي. كما أن ذلك هو السر الحقيقي وراء ذلك الترابط والتكامل بين أدوار الأنبياء المعكوس في أسفار الكتاب المقدس. إن المرء الذي يتأمل بالتدقيق في مسيرة هؤلاء الأنبياء لا بد وأن يدرك كيف أن الوحي الإلهي قد أخذ شكل هرم متدرّج الأطوار بنى فيه كل نبي على ما سبق وبناه أقرانه من قبله. أما قمة الهرم فيقف عليها المسيح مكمل الوحي وخاتمته. ليس هذا صورة خيالية أو تخميناً بشرياً بل نجده مدوناً ضمن ما أوحى به الله نفسه إذ قال عن مؤمنيه على لسان الرسول بولس: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدّساً في الرب" (الرسالة إلى أفسس ٢: ٢٠و٢١).

بيد أن هناك اختلافاً جوهرياً آخر ما بين دور المسيح كنبي وبين أدوار أنبياء الله. لقد تكلم الأنبياء كبشر مسوقين من عند الله وليس من عندياتهم، بينما تكلّم المسيح كالله. كانوا دائماً يصحبون رسالتهم بتعابير مثل "هكذا يقول الرب" ولم تكن لديهم السلطة ولا القدرة على قول أي شيء بالنيابة عن الله إلاّ ما كان قد أوحى به الله إليهم. أما يسوع فقد كان يؤكد في رسالته على الدوام بأنه إنما يقول ما يقوله بسلطته هو. عندما أشار لأقوال الأنبياء قال: "قيل لكم"، لكن عندما أشار إلى ما يقوله هو قال: "أما أنا فأقول" أو "الحق الحق أقول لكم". الأنبياء تحدثوا بالنيابة عن الله، أما المسيح فتحدّث بالنيابة عن نفسه وانطلاقاً من سلطته الشخصية، والواقع أن ذلك ما أدهش معاصريه الذين لاحظوا أنه يختلف عن الأنبياء ورجال الدين، "لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (متى ٧: ٢٩ ومرقس ١: ٢٢)، "لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه" (مرقس ١: ٢٧ ولوقا ٤: ٣٦). هذا وقد صرّح يسوع أكثر من مرة بأن له سلطان يفوق ما هو لأي بشر (متى ٩: ٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومرقس ٢: ١٠ ولوقا٥: ٢٤)، ثم إنه أعطى رسله الذين أوحى لهم بكتابة الإنجيل بواسطة الروح القدس، أعطاهم السلطان في مهماتهم النبوية. (راجع متى ١٠: ١ ومرقس ٦: ٧ ولوقا ٩: ١). إذاً فهو في مهمته النبوية عبّر عن سلطة لم تكن للأنبياء البشر، بالإضافة إلى الحق الذي عبّر عنه في إعطاء السلطة للأنبياء البشر.

بالرغم من أن يسوع أشار إلى نفسه كنبي لديه رسالة خاصة من الله الآب (راجع لوقا ١٣: ٣٣ ويوحنا ٨: ٢٦-٢٨، ١٢: ٤٩و٥٠، ١٤: ١٠و٢٤)، إلاّ أن أعماله النبوية الخاصة لم تكن في حاجة إلى تأكيد شفوي على مركزه النبوي، فقد تنبّأ عن المستقبل (متى ٢٤: ٣-٣٥، لوقا ١٩: ٤١-٤٤). ثم إن تعاليم المسيح كانت ذا طبيعة نبوية في صبغتها الغالبة. كان من الطبيعي إذاً أن يشير إليه الناس كنبي (متى ٢١: ١١و٤٦، لوقا ٧: ١٦، ٢٤: ١٩، يوحنا ٦: ١٤، ٧: ٤٠و ٩: ١٧). وبالرغم من أن مواصفات النبوة الشائعة في حقبة العهد القديم انطبقت عليه من جهة علاقة تصريحاته بالماضي والحاضر والمستقبل (راجع خروج ٧: ١، تثنية ١٨: ١٨، عدد ١٢: ٦-٨، أشعياء ٦، أرميا ١: ٤-١٠، حزقيال ٣: ١-٤و١٧). إلاّ أن المسيرة النبوية الجوهرية التي طغت على خدمته كمنت في مقدرته الدائمة على تفسير الشريعة الإلهية وتطبيقها على الحياة اليومية المعاصرة. أما تفسيره للشريعة الإلهية فقد كان مدعوماً دائماً بحياته الطاهرة وسلوكه الذي لم تشوبه شائبة أخلاقية. في هذا لم تنطبق عليه مواصفات النبوة فحسب بل توّجته ورفعته على كل الأنبياء. فالنبوة في مفهوم الوحي الإلهي ليست مجرد إدعاء بالحصول على وحي أو رسالة من الله، إنها دائماً، وعبر صفات الكتاب المقدس مصحوبة بقوة معجزية خارقة تدل على أن الله هو مصدرها، ثم إنها أيضاً مصحوبة بحياة نقية طاهرة يتحلّى بها النبي، دلالة قاطعة على أن تكريسه للنبوة هو من الله. هذا بالطبع مغاير لإدعاءات الكثيرين من الأنبياء المزيفين قبل وبعد المسيح، فهؤلاء اتسمت إدعاءاتهم بخلائها من القيمة المعجزية الإلهية. ومع أنهم ادعوا المقدرة على القيام بالمعجزات فإن سجلاتهم تشهد بأن المعجزات التي ادعوا بترتيبها كانت من نسج خيالهم ولم تكن من مصادر موثوق بها تدعم ادعاءاتهم. لأن المعجزات الحقيقية التي مصدرها قوة الله لا تحصل في الخفاء بل في العلن وإلاّ لما كان لحصولها أي معنى. بيد أن الحياة الأخلاقية للأنبياء الكذبة عبر التاريخ تتسم بفساد جنسي ورغبة قوية في التسلط على الآخرين، بالإضافة إلى الخوف الدائم من المعارضين والسعي للبطش بهم. أما الأنبياء الحقيقيين والذين كان يسوع مثالهم الأسمى فإن تقواهم الحقيقية لم تكن تخفى على أحد، ثم إنهم عبروا عن ثقة دائمة في الله وعن رغبة دائمة في إطاعة شريعته وأوامره الخاصة حتى وإن قادهم ذلك إلى الموت. أما ثقتهم في الله فقد دلت عليها حياة التضحية التي مارسوها كل يوم، لأنه لم يكن يهمهم إرضاء البشر على الإطلاق بل إرضاء الله في كل ما يقولونه ويعملونه ويفكرون به. أما المعجزات التي صحبت خدمتهم فلم يستعملوها لنيل ربح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شخصي، بل على العكس نراهم يقشعرون ويهتزون عندما يقوم أحد على إعطائهم سلطة إلهية أو عندما يعتقد البعض بأن معجزاتهم تلك ناتجة عن مقدرة كامنة فيهم.

من هنا وجب علينا أن نتذكر بأن يسوع لم يكن مجرد نبي اعتيادي. إن تفوقه المعجزي والأخلاقي الخارق لم يكن الفارق الجوهري الوحيد، لأنه بعكس باقي أنبياء الوحي الإلهي تمتع بمركزه وخدمته النبويتين من قبل مجيئه إلى عالم البشر. إن "روح المسيح" هو الذي دلّ الأنبياء وقادهم وأوحى إليهم من قبل مجيئه (راجع رسالة بطرس الأولى ١: ١٠-١٢)، بل إن المسيح كان قد سبق وحمل رسالة نبوته التبشيرية المعزية إلى أرواح المائتين قبل تجسّده (راجع رسالة بطرس الأولى ٣: ١٨-٢٠).

كما أن مهمة المسيح النبوية امتّدت إلى المستقبل، حتى بعد عودته إلى يمين العظمة في السماء لأنها كانت ذا فعالية قبل وأثناء تجسّده. فهو إذ صعد إلى السماء واصل خدمته النبوية عبر رسله الأطهار (راجع أعمال الرسل ١: ١). ثم إنه لا يزال يقوم بمهمته النبوية تلك عبر الروح القدس المعزّي الذي أرسله إلى كنيسته لينعشها ويقويها ويطبق في حياتها متضمنات كلمته الطاهرة (يوحنا ١٤: ٢٦، ١٦: ١٢-١٤).

ثانياً: المسيح الكاهن

إن وظيفة المسيح الكهنوتية كانت بدورها أيضاً ضمن الخواص المميزة للمسيّا الذي تنبأت عنه أسفار العهد القديم، فقد قيل عنه: "أنت كاهن إلى الأبد" (مزمور ١١٠: ٤). كما قالت النبوة إنه: "يبني هيكل الرب ويحمل الجلال ويجلس ويتسلّط على كرسيه ويكون كاهناً على كرسيه" (نبوة زكريا ٦: ١٣). أما الوصف الكامل لمركزه وخدمته الكهنوتية فقد ورد قبل مجيئه إلى عالم البشر بنحو سبعمائة سنة وذلك على لسان النبي أشعياء في الفصل الثالث والخمسين من نبوته الذي يعتبر من أجمل سجلات الوحي الإلهي.

إن وظيفة الكهنوت في الكتاب المقدس يمكن اعتبارها الوظيفة الموازية لوظيفة النبوّة. فبينما يقوم النبي بنقل رسالة من الله إلى البشر أو بالتكلم للبشر بالنيابة، فإن الكاهن هو الشخص الذي يقوم بتمثيل البشر أمام الله، وذلك إما بتقديم ذبائحهم لله بالنيابة عنهم وإما بنقل صلواتهم وطلباتهم إلى الله. إن ذلك بالطبع يعود لفقدان البشر المقدرة على الوقوف أمام الله بأنفسهم بسبب فسادهم وخطيتهم. لأجل هذا السبب رتّب الله لوجود تلك الفصيلة من بني البشر الذين أهّلهم وأعدّهم للقيام بتلك المهمة الكهنوتية. فالشخص العادي لم يكن بوسعه الاقتراب من قدس الأقداس داخل الهيكل حيث تقدم الذبائح والصلوات الشفاعية الخاصة. فالإنسان في حالته الساقطة مفصول أخلاقياً وروحياً عن الله وهو ذو طبيعة مغايرة لطبيعة الله الطاهرة، لذلك ليس باستطاعة الإنسان القدوم إلى محضر الله بنفسه. أما الكهنة الذين أقامهم الله عبر أجيال حقبة العهد القديم فقد أُعطوا الحق في تمثيل بني البشر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمام المحضر الإلهي، فكان الكاهن يأخذ على نفسه مهمة إعادة تلك العلاقة الطبيعية التي كانت بين الله وبني البشر إلى ما كانت عليه قبل السقوط ولو بشكل جزئي ومؤقت. فالكاهن تقع عليه مسؤولية الاعتراف العلني بخطية وعصيان من يمثّلهم أمام الله، كما أنه يقوم بتقديم الذبائح الرمزية التي تعبّر عن الرغبة في التوبة عن حالة التمرّد تلك والتكفير عنها. إذاً تقع على عاتق الكاهن مهمتين: تمثيل بني البشر والتشفّع فيهم أمام الله. في العهد الجديد نرى بأن كهنة العهد القديم لم تكن مهمتهم رغم عظمتها وفعاليتها وجديّتها سوى مهمة رمزية، ترمز إلى الكاهن الأعظم الذي سعى هؤلاء الكهنة للتشبّه به. إن المسيح هو المرموز إليه في الذبائح والصلوات التي قاموا بتقديمها. لعل أوضح ما ورد في الوحي الإلهي عن هذا الأمر هو في المضمون الكلي للرسالة إلى العبرانيين التي أكدت تفوّق مركز المسيح الكهنوتي وألوهيته وتفوّق مركزه النبوي على كافة الأنبياء. فبينما أشارت كتب العهد الجديد الأخرى إلى عمل المسيح الكهنوتي (راجع مرقس ١٠: ٤٥، يوحنا ١: ٢٩، رومية ٣: ٢٤و٢٥، كورنثوس الأولى ٥: ٧، غلاطية ١: ٤، أفسس ٥: ٢، رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢، رسالة بطرس الأولى ٢: ٢٤و٣: ١٨)، فإن دور الرسالة إلى العبرانيين الخاص هو في شرح ذلك العمل وتوضيح أهميته. كما أنها لا تدع مجالاً للشك في أحقيّة المسيح للقبه الكهنوتي المجيد. في الرسالة إلى العبرانيين دعي المسيح "رئيس كهنة الله" (٣: ١) و"رئيس كهنة عظيم" (٤: ١٤) و"كاهن إلى الأبد" (٥: ٦) و"رئيس كهنة إلى الأبد" (٦: ٢٠) و"رئيس كهنة.... قدّوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (٧: ٢٦) و"رئيس كهنة... قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات، خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب، لا إنسان" (٨: ١و٢).

ومثلما تميّز يسوع كنبي من بين جميع الأنبياء تميّز أيضاً عن جميع الكهنة. هذا ما نراه في جانبي خدمته الكهنوتية بوضوح: أي في عمله الكفاري كفادي البشر والبديل الحقيقي عنهم أمام الله، وفي عمل وساطته وخدمته الشفاعية كالممثل الأوحد لكنيسته المفتدية أمام الله.

بالنسبة إلى عمل المسيح الكفاري يطرح الوحي الإلهي أمامنا حقيقة راسخة لا نزاع عليها، وهو أنه هو وحده الذي كان مؤهلاً حقيقةً لأن يكون فادي البشر الذي باستطاعته معالجة معضلة سقوطهم وخطيتهم. ذبائح العهد القديم الكفارية ما كانت سوى رموز يتذكر بها بني البشر خطيتهم ويتطلعون إلى قدوم ذلك المخلّص الذي يذبح قانونياً بالنيابة عنهم. "لأن أولئك بدون قسم صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء. وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول. فمن ثم يقدر أن يخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدّوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات. الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الشعب لأنه فعل هذا مرّة واحدة إذ قدّم نفسه. فإن الناموس (أي الشريعة) يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة. وأما كلمة القسم التي بعد الناموس فتقيم ابناً مكملاً إلى الأبد" (الرسالة إلى العبرانيين ٧: ٢١-٢٨). إذاً ذبيحة المسيح تختلف عن ذبائح الآخرين من عدة جوانب، أولاً هي ذبيحة حقيقية. فالذبائح السابقة لم تكن لها سوى فائدة واحدة وهي أنها كانت ترمز إليه "لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا.... تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية". (عبرانيين ١٠: ٤-١١). أما يسوع فكان إنساناً طاهراً، ولا يحل محل الإنسان سوى إنسان، "لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً" (عبرانيين ١٠: ٥). ثانياً إن ذبيحة المسيح هي ذات مدى غير محدود حجماً. فهو كالكاهن الإلهي غير المحدود قدّم ذبيحة غير محدودة الفعالية، لأن المسيح "لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا، ولا يقدّم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر" (عبرانيين ٩: ٢٤-٢٥). ثالثاً إن ذبيحة المسيح هي أبدية الأثر. "فبهذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.... فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله.... لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين" (عبرانيين ١٠: ١٠و١٢و١٤).

إلى جانب الذبيحة العظمى التي قدّمها يسوع كفّارة عن خطايا الكثيرين، فإن وظيفته الكهنوتية لها جانب آخر هو شفاعته بالنيابة عن مفديه. في هذا الصدد يقول الرسول يوحنا: "إن أخطأ أحد (أي من المؤمنين) فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار" (رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢). والشفيع هو الشخص الذي يعين المذنبين ويدافع عنهم وهو محامي الدفاع أمام محكمة العدالة الإلهية. بالنسبة للمؤمنين "من هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا" (الرسالة إلى رومية ٨: ٣٤). "هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عبرانيين ٧: ٢٥). إنه "يظهر الآن أمام وجه الله" لأجل المؤمنين (عبرانيين ٩: ٢٤). أما عظمة شفاعة المسيح فقاعدتها هي عظمة ذبيحته الكفارية. أما نتيجة تلك الشفاعة النهائية فهي في مجيئه الثاني، "هكذا المسيح أيضاً بعدما قدّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانيةً بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عبرانيين ٩: ٢٨).

ثالثاً: المسيح الملك

إنه من الطبيعي جداً أن يكون للمسيح، وهو الإلهي الطبيعة، نصيبه الأزلي في التسلّط على الكون. ذلك هو حقّه الإلهي. لكن المسيح له مكانته الملكية الخاصة بصفته الوسيط بين الله والناس، مخلّص بني البشر الخطاة. إذاً ملكية المسيح التي نحن بصددها الآن تتعلق به كابن الله المتجسّد، فهو في طبيعته البشرية إنسان أعطي سلطة خاصة لتكميل ملكوته الروحي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الكنيسة وذلك بحفظها وحمايتها وقيادته لها نحو المجد الأبدي. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن المسيح أيضاً بصفته الفادي والوسيط، لديه سلطة خاصة كملك على كل المخلوقات، بما في ذلك الأبالسة والبشر غير المؤمنين. هذا بالطبع يرجع إلى ملكيته الفريدة في النهاية عندما "يضع جميع أعدائه موطئاً لقدميه" (مزمور ١١٠)، وحين يكون قد أخضع الكل وصار الكل في الكل. (راجع رسالة كورنثوس الأولى ١٥: ٢٤-٢٨).

إن الجانب الأول من ملكية المسيح إذاً يرتبط بعلاقته بالمفديين. فهو ملكهم الروحي وله سلطة على خلاص وفداء النفس. تلك المسؤولية كانت هي أيضاً ضمن مواصفات المسيح المنتظر التي كان قد سبق للمشورة الإلهية وقضت بها: "أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي" (مزمور ٢: ٦). هذا هو الوعد المعطى للملك داود الذي كان رمزاً للمسيح الملك الحقيقي. إن الوحي الإلهي يقول في هذا الصدد "أقسم الرب لداود بالحق. لا يرجع عنه. من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك" (مزمور ١٣٢: ١١). لأجل هذا السبب دُعي يسوع "ملك اليهود" و"ابن داود"، ولعل هذا هو السبب الرئيسي من وراء ما تضمنه الوحي الإلهي لتلك القوائم الطويلة عن أنساب المسيح، بسبب ضرورة إثبات صلة قرابته بالملك داود. هذا وإن الوحي الإلهي كان قد سبق ووصف المسيح بأن "تكون الرياسة على كتفه.... لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد..." (نبوة أشعياء ٩: ٦-٧، راجع أيضاً نبوة ميخا ٥: ٢ وزكريا ٦: ١٣). أما بشارة الملاك لمريم فقالت عن المسيح الموعود بقدومه: "هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا ١: ٣٢-٣٣). هذا ما أقرّت به الجماهير الغفيرة عندما هتفت قائلةً: "مبارك الملك الآتي باسم الرب" (لوقا ١٩: ٣٨)، أما يسوع فقد أشار إلى طبيعة مملكته تلك عندما دحض أقوال زعماء اليهود الذين اتهموه بالتآمر على نظام الحكم الروماني، فقال: "مملكتي ليست من هذا العالم..." (يوحنا ١٨: ٣٦). هذا الجانب الروحي لملكية المسيح هو في موضعه الملكي على شعبه المؤمن. وهذه الملكية تتخذ إطاراً روحياً على قلوب وحياة المؤمنين ولها بعد روحي ألا وهو خلاص الخطاة. أما وسائط هذا الجانب من ملكه فهي روحية أيضاً: فهو يحكم بواسطة كلمته وروحه. وهو يعبر عن ملكه هذا بواسطة تجميع وحكم وحماية وتكميل كنيسته. إن ملك المسيح هذا يسمى في العهد الجديد "ملكوت الله"، وقد دعي في الإنجيل حسب كتابة متى "ملكوت السموات"، ولا يخفى على بال أحد أن متى وهو يكتب أصلاً لمجموعات من اليهود أراد أن يتجنّب استعمال التعبير "ملكوت الله" لأن الكثيرين من اليهود كانوا قد تعودوا على تفضيل الإشارة إلى الأمور التي تخص الله بتعبير "السموات"، ذلك أنهم آثروا التقليل من استخدام اسم الله في أحاديثهم اليومية. ومهما تكن التسمية فإن أعضاء ذلك الملكوت الروحي الذي يملك عليه المسيح هم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المواطنون أعضاء كنيسته الحقيقية المفدية التي اقتناها بدمه الطاهر (راجع أعمال الرسل ٢٠: ٢٨).

لكن للتأثير الروحي لمملكة المسيح، الذي هو ملكوت النور، بعد أوسع من حياة المؤمنين. فحيثما وجدت كنيسته وتزايد تأثيرها على المجتمع يلاحظ نمو غير عادي للوفاء والمحبة والعدالة وروح الطهارة والقداسة والجد والتضحية والسلام. هذا ما يعكسه مثلا الزارع والشبكة اللذين ضربهما المسيح نفسه (راجع متى ١٣: ٢٤-٣٠ و٤٧-٥٠). فالمسيح عندما يملك على قلب البشر ينقلهم من ملكوت الظلمة حيث هم بالطبيعة مستعبدين للشر إلى ملكوت النور حيث كل جمال وحسن وصلاح (راجع متى ١٢: ٢٨، لوقا ١٧: ٢١، رسالة كولوسي ١: ١٣)، وإذ يرى الناس حياة هؤلاء المتغيرة والمخلوقة من جديد بواسطة روح المسيح، يمجدون الله، (متى ٥: ١٦). من هنا كان امتداد تأثير ملكوت المسيح.

لكن ملكوت المسيح المعطى له بعد التجسّد امتد بشكل أوسع إثر قيامته، لذلك صرّح لتلاميذه قائلاً: "دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨: ١٨). كان هذا جزءاً لا يتجزأ من مقاصد الله الأزلية وعمله "الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل" (الرسالة إلى أفسس ١: ٢٠-٢٣). ومع أنه قبل تجسّده كان يتمتع بهكذا سلطان على كل شيء. إلاّ أنه بعد قيامته رسّخ بشكل جديد ملكه على الكل، وهو في ذلك يتحكّم في جميع ظروف مسار التاريخ البشري بأسره لأجل تكميل عمله الكفّاري ولأجل حماية كنيسته من كل خطر من شأنه عرقلة مسيرتها الروحية نحو الكمال الذي أراده لها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع:

المسيح مكمّل نبوات الوحي الإلهي

إن أسفار العهد القديم تحتوي على الكثير من المظاهر والإشارات والنبوات التي وجهّت المؤمنين وحضّرتهم لمجيء المسيح إلى عالمهم البشري. هذا واضح جداً لدرجة أن الوحي الإلهي يبدو وكأنه قد رسم في تلك السجلات طريقاً إلى استراحة نهائية بديعة. إن ظهور المسيّا الآتي يتضح تدريجياً عبر صفحات العهد القديم كالغاية النهائية لكل شيء. حين يكشف الرب الإله عن نفسه في ألمع وأكثر الصور وضوحاً فيصبح عمانوئيل، أي أن الله حلّ بين البشر.

لقد كان من الضروري أن يتخذ الأمر ذلك الشكل التدريجي في تاريخ البشر. فلو أن الوحي الإلهي كشف عن عملية التجسّد الإلهي بشكل مفاجئ لما كان في وسع الناس فهم الأمر على الإطلاق. كان لا بد لتلك الخطوات التمهيدية أن تأخذ مجراها، لأن الأمر لم يقتصر على مجرد تحضير الظروف التاريخية والاجتماعية والروحية الملائمة لمجيء المسيح، بل لأن البشر أنفسهم كانوا بحاجة إلى تحضير لكي يفهموا الظروف والأحداث ومن ثم معنى التجسّد الإلهي والقصد منه. من هنا كانت الطبيعة التدريجية لنبوات العهد القديم المختصّة بالمسيح. أما تحقيق السيد المسيح لمواصفات ومتطلّبات تلك النبوة فهو مذهل في دقتّه وتفاصيله لأنه يُعرّف المرء بأن المسيح هو وحده الذي يعطي مسار الوحي الإلهي في العهد القديم مغزاه وقصده وكماله.

ولعل المدهش في هذا الأمر هو كون نبوات العهد القديم الخاصة بقدوم المخلّص كانت قد بدأت مع بداية سجلات الوحي الإلهي نفسها، وسارت جنباً إلى جنب مع تطورات الأحداث. نرى مثلاً أنه منذ البداية وفي مطلع التاريخ البشري عندما حدث السقوط لدى عصيان أمر الله والأكل من الثمار المحرّمة للشجرة التي في وسط الجنة، وعد الرب آدم وحواء بأنه من نسل حواء سيأتي من يسحق رأس الحيّة التي دبّرت المكيدة (راجع تكوين ٣: ١٥). إن لهذا علاقة خاصة بميلاد المسيح العذراوي من امرأة والذي تعرّضنا له في الفصل الثالث من الجزء الثاني. من هنا طبق الوحي الإلهي ذلك القول على أسلوب مجيء المسيح بالقول: "... لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة..." (الرسالة إلى غلاطية ٤: ٤). كان لا بد إذاً للمسيح نسل المرأة أن يتصارع وجهاً لوجه مع الشيطان مدبّر السقوط لأن المسيح هو المخلّص من هذا السقوط. لقد واجه المسيح إبليس في مرحلة تجاربه التحضيرية قبل شروعه في خدمته العلنية (راجع لوقا ٤: ١-١٤)، هناك دحره وأثبت تفوقه عليه. كما أنه صارع إبليس عندما أخرج أجناده من سكناهم في عشرات البشر الذين كانوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قد سيطروا عليهم واستعبدوهم. لأجل ذلك دعي محرّراً. (راجع مرقس ٥: ١-٢٠ ولوقا ٤: ٢٠-٢٢).

لقد سبق مجيء المسيح إلى عالمنا كثيرون ادعوا بأنهم هم "المخلّص المنتظر"، كما جاء بعده كثيرون ادّعوا الشيء نفسه. لكن سرعان ما سقطت ادّعاءاتهم وذهبت أدراج الرياح بمجرّد أن كشف الواقع كيف أن المسيح وحده هو الذي انطبقت عليه أوصاف وتوقعات نبوات الوحي الإلهي. لعل هذا هو السبب الرئيسي من وراء وجود تلك التفاصيل الدقيقة في النبوات عن المخلّص المنشود. البعض يتساءلون عن أهمية تلك اللوائح الطويلة لسلسلة أنساب المسيح التي أوردها الإنجيل. لكن تلك الأهمية هي كامنة فعلاً في ضرورة التيقن المطلق من صحة هويته. فقد كان مفروضاً أن يأتي من نسل ابراهيم عبر ابنه اسحق وحفيده يعقوب بالذات، من سبط يهوذا ومن نسل داود بالذات أيضاً. كما كان من المفترض أن يولد في بيت لحم وأن يقضي بعضاً من طفولته في مصر وتكون نشأته في الجليل. كل هذه كانت أدلة وبراهين تاريخية توفّرت فيه.

لكن نبوات الوحي الإلهي تطرّقت لمواصفات أخرى يجب توفرها في المسيّا المنتظر لها علاقة حيوية ومباشرة بمهمته الخلاصية كالإنسان المعصوم عن الخطأ المؤهل لأخذ مكان البشر وكالله المتجسّد الذي بوسعه إكمال المهمة المرسومة. من جهة طبيعته البشرية كان لا بد وأن يتمتع بعاطفة قوية ومحبة قلبية لبني البشر تعبيراً عن استعداده للتألم والموت عنهم، كما كان من المفروض عليه أن يبرز كإنسان فوق العادة وفريد من نوعه (راجع أشعياء ١١: ٢-٥ و٤٢: ٢-٦). أما من جهة طبيعته الإلهية فقد كان من الضروري إدراك وجوده المسبق وكونه قد "أتى" إلى عالم البشر من عالم آخر (راجع أشعياء ٦٣: ١). كان من المفروض أيضاً أن تنطبق عليه أوصاف لا تنطبق إلاّ على الله، فيدعى "عمانوئيل" (أي أن الله حلّ مع البشر). و"يسوع" (أي المخلّص) و"الإله القدير" و"الآب الأبدي" و"رئيس السلام" (أشعياء ٧: ٤ و٩: ٦).

كان يجب أن يكون نور العالم الذي يقضي على الظلمة (قارن أشعياء ٩: ٢ مع يوحنا ٨: ١٢). فلو أن بني البشر لم يكونوا على وعي بالظلمة الروحية حولهم لما كان لمجيء النور الروحي من معنى. الواقع أن أحداث وسجلات العهد القديم لم تقتصر إشاراتها في التمهيد لمجيء المسيح على النبوات الواضحة والمباشرة، لقد كان كل شيء يشير بصورة أو بأخرى لمجيء المخلّص ويمهّد له. وقد أجمع علماء الكتاب المقدس من المؤمنين على أن معاملات الله مع شعبه في العهد القديم أبرزت بوضوح إفلاس البشر الروحي وفشلهم الذريع في إرضاء الله بواسطة مجهوداتهم الدينية الخاصة، مما حتّم أن يكون الحل للمشكلة من خارج نطاق قدراتهم الشخصية. كان من الواضح إذاً أنه إذا أمكن الوصول إلى حل لمعضلة فشل البشر في إرضاء عدالة وقداسة الله، فإن ذلك لا بد أن يأتي عبر مبادرة إلهية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خاصة. لكن مع كل ذلك كان على البشر أن يدركوا حاجتهم إلى تقديم ذبائح رمزية للتكفير عن خطاياهم، كما كانوا في حاجة إلى إدراك مدى الهوة الروحية التي تفصلهم عن قداسة الله مما تطلّب وجود الكهنة الوسطاء بينهم وبين الله. فلو أن المسيح جاء فجأة لتقديم نفسه كالكاهن والوسيط والذبيحة الحقيقية التي تحطّم الحاجز بين الله والناس لما فهم بني البشر مهمته على الإطلاق. لقد كان عليهم إدراك وجود ذلك الحاجز الروحي الذي أقامته الخطية بينهم وبين الله، ومن ثم حاجتهم إلى إزالة ذلك الحاجز. عندئذٍ فقط يأتي "ملء الزمان" أي يصبح كل شيء جاهزاً ومعدّاً لعملية التجسّد والخلاص.

إن التاريخ يشهد بشكل قاطع لواقعة الصلب، كما أن النبوات كانت قد سبقت وتحدثت عنها بالتفصيل (راجع نبوة أشعياء ٥٣)، لكن الكتاب المقدس بعهديه يطرح الأمر على شكل ضرورة ملحّة ومحتومة لاسترجاع تلك العلاقة الروحية المفقودة بين الله الخالق وبني البشر المخلوقين. فمجيء الأنبياء ونزول الشرائع الإلهية وكافة متضمنات الوحي الإلهي لهم، جميعها لها أدوارها الخاصة في التحضير لمجيء المسيح. إضافةً إلى ذلك فإننا نجد بأن مسار التاريخ البشري حول محيط شعب الله في العهد القديم، ابتداءً من عبوديتهم في مصر وخروجهم منها إلى تأسيس مملكتهم تحت قيادة الملك داود وابنه سليمان وتطورها التدريجي وصولاً بتحطمها وسبيّ الأمة بأسرها إلى بلدان نائية. كل هذا إنما أشار باتزان وانسجام وترابط كامل إلى ضرورة تدخّل الله المباشر وإنجازه لعملية الخلاص.

لكن دور النبوات التي قدمت إشارات ومواصفات مباشرة عن المخلّص الآتي يبقى جوهرياً في العملية كلها. لقد كان من الضروري أن يعطى البشر الأدلّة القاطعة والعلامات الفارقة التي تمكنهم من التمييز ما بين من ادعوا كذباً بأنهم المسيّا المنتظر وما بين صدق المسيّا الحقيقي. فلو أن الأمر ترك لهم للتخمين لفقدت سجلات الوحي الإلهي مقصدها وحيويتها وانسجامها ولكان الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام كل مدّعي بالنبوة أن يطبق على نفسه مواعيد الله بقدوم المخلّص.

إن الأنبياء أنفسهم الذين أوحى لهم الله بتفاصيل قدوم المخلّص الدقيقة اعتبروا أنفسهم أدوات طيعة في التمهيد لذلك الحدث الذي كان سيقع في "الأيام الأخيرة" أو في "ملء الزمان". فعبر صفحات الكتاب المقدس لم يبدر على لسان أحدهم ولا حتى تلميح واحد على أنه هو أفضل الأنبياء أو خاتمتهم. كل واحد منهم أدى دوره في التمهيد لمجيء المسيح بدون تردد أو رغبة في تحسين مركزه الشخصي أو تجميع أتباع له. عندما تحدّث موسى عن مجيء المسيح قال للشعب: "له تسمعون" (تثنية ١٨: ١٥) وعندما تحدث داود دعاه "ربي" (مزمور ١١٠: ١) حتى يوحنا المعمدان قال عن المسيح: "الذي يأتي بعدي قد صار قدّامي، الذي لست بمستحقٍ أن أحلّ سيور حذائه" (يوحنا ١: ٢٧)، "هذا هو ابن الله" (يوحنا ١: ٣٤)، "هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا ١: ٢٩). كثيرون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

غيرهم من الأنبياء كان السيد المسيح نفسه قد أشار لأقوالهم مصرحاً: "إنه مكتوب في الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله. فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إليّ. ليس أن أحداً رأى الآب إلاّ الذي من الله. هذا قد رأى الآب. الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية. أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المنّ في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يوحنا ٦: ٤٥-٥١). إذاً السيد المسيح نفسه رأى أن دور كل الأنبياء وكل متضمنات الوحي الإلهي كانت لأجل التحضير لمجيئه. عندما تذكرت المرأة السامرية أقوال الأنبياء قالت للمسيح: "أنا أعلم أن مسيّا الذي يقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء"، كان رد يسوع عليها: "أنا الذي أكلمك هو" (يوحنا ٤: ٢٥-٢٦). وعندما قال له اليهود "ألعلك أعظم من أبينا ابراهيم الذي مات. والأنبياء ماتوا. من تجعل نفسك؟" لم يتردد يسوع في أن يكشف عن تفوقه وعظم مكانته فوق كل الأنبياء فأجابهم: "أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح... قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن" (يوحنا ٨: ٥٣-٥٨).

خلاصة القول إذاً هي أن المسيح لم يحقق نبوات العهد القديم فحسب، بل إنه كان محور وقصد كل متضمنات الوحي الإلهي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخاتمة

حياة يسوع المسيح

تحقق المخطط الإلهي المرسوم

إننا إذ ندرس تعاليم المخلص كما ترد في الإنجيل المقدس ندرك تواً أن السيد المسيح كان قد جاء إلى عالم البشر لإتمام رسالة خاصة، وأنه عاش حياته وحقق عمله الخلاصي تبعاً لمخطط إلهي رسم مسبقاً. وكان ذلك المخطط واضحاً وجلياً أمام عينيه كما يظهر لنا منذ بدء حياته العلنية. وبالرغم من أهمية كل لحظة في حياته فإنه لم تبد عليه ملامح استعجال الأمور، إذ أنه كان لديه الوقت الكافي للقيام بجميع تفاصيل مهمته الخلاصية، كذلك لم يكن مرة واحدة فريسة للظروف، بل كان دائماً سيدها وموجهها. معارضة البشر لم تبعده عن هدفه المنشود إذ أنه سار قدماً نحو تحقيق الرسالة التي أسندها الله إليه.

لقد كانت حياة المسيح بأكملها تسير على ضرورة إنجاز ذلك المخطط الإلهي. من هنا كان قوله في مستهل سيرته العلنية "أنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا قد أُرسلت" (لوقا ٤: ٤٣)، ثم "ابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل. وبعد ثلاثة أيام يقوم" (مرقس ٨: ٣١). هذا وقد أخبر ملاك الرب بعض أتباعه بقيامة سيدهم من الموت في صبيحة ذلك الحدث قائلاً: "ليس هو ههنا لكنه قام. اذكرن كيف كلمكن وهو بعد في الجليل قائلاً أنه ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم" (لوقا ٢٤: ٧).

في بحثنا لموضوع وجوده الأزلي السابق لتجسده أشرنا إلى التعابير التي يستعملها الإنجيل للإشارة إلى ذلك مثل "جاء" أو "أُرسل" لينجز مهمة معينة. أما بشأن إنهاء مهمته وتركه للعالم فإن ذلك كان ضرورة إلهية. والخطة الإلهية للمسيح تضمنت أحداثاً مثل رحلة المسيح الأخيرة إلى القدس ورفض زعماء الكهنة وشيوخ اليهود له، ثم خيانة يهوذا، فالقبض عليه، ومن ثم تألمه وموته على الصليب وقيامته في اليوم الثالث.

لم تكن هذه الأمور أموراً متوقعة أو سبق وأخبرت بها نبوات الأنبياء فحسب، بل إن الإنجيل عرضها جميعاً كأمور حتمية في عملية إنجاز رسالة المسيح الخلاصية. فبعد قيامته من الموت قال المسيح لتلاميذه: ".... هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في شريعة موسى والأنبياء والمزامير، حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب، وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في اليوم الثالث، وأن يُبشر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئاً من أورشليم" (لوقا ٢٤: ٤٤-٤٧).

إن قيام شخص يتمتع بهكذا مكانة إلهية بمهمة كهذه يتضمن في الواقع اتضاعاً في كل خطوة من خطوات تلك الرسالة. لم يتعرض المسيح للإهانة عبر الفقر والإرهاق والجوع فحسب، بل أنه اختبر مقاومة مريرة من معارضيه والسلطات الدينية المعاصرة له. واختبر المسيح ذروة الاتضاع في آلامه النهائية وموته ودفنه. وكما ذكرنا سابقاً كان قد أظهر المسيح اتضاعه بأخذه على نفسه طبيعة بشرية، مولوداً كطفل ضعيف، ومعرّضاً لكافة محدوديات وضعفات الطبيعة البشرية لثلاث وثلاثين سنة. ومع ذلك فإن رسالته توصف في الإنجيل على أساس كون كل عنصر فيها تمّ على أكمل وجه وبصورة عفوية لا يعتريها تكلف. فكل فكرة وردت للسيد المسيح للتهرب من تتميم رسالته عبر استخدام قوته الفائقة للطبيعة وربح مجد البشر، نظر إليها كتجربة ابتدعها الشيطان. لقد جاء إلى عالمنا لإتمام رسالة واحدة وصريحة وهي أن يكون كفارة عن الخطية بواسطة آلامه وموته. وكل الأمور التي قادت إلى هذا العمل الأساسي كانت قد رسمت من قبل الله بالذات ولم يقدر أي بشري أن يغيّر من مجراها.

يظهر لنا بكل جلاء أن آلام وموت المسيح كانت منجزات وانتصارات لا كوارث وفواجع. لقد حدد هو بنفسه، وليس أعداؤه، تاريخ وساعة الصلب، ومع أن عملية الصلب بدت غريبة ومذهلة لتلاميذه إلاّ أنها لم تكن سوى تتمّة لمهمة جاء للقيام بها لفتح باب جديد وثابت لملكوت من العزة والحياة.

يعكس سفر أعمال الرسل جمال السلطان والتوجيه الإلهيين عبر حياة يسوع المسيح. فعملية الصلب مع كونها أبشع شر في تاريخ البشرية أشار إليها سفر الأعمال على أساس كونها من ترتيب إلهي مسبق. نقرأ مثلاً "لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدّوس يسوع الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل، ليفعلوا كل ما سبقت فعيّنت يدك ومشورتك أن يكون" (أعمال الرسل ٤: ٢٧و٢٨). وقد وعظ بطرس الرسول أهل القدس قائلاً: "هذا (أي يسوع) أخذتموه مسلّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه" (أعمال الرسل ٢: ٢٣).

ثم لا يجب أن يفوتنا أن نلاحظ مدى السلطان العجيب الذي عبّر عنه يسوع المسيح في معرض أحاديثه. لقد كان العديد من الأنبياء الذين سبقوا مجيئه، كل واحد منهم لجأ دائماً لبدء نبوته بالقول "هكذا يقول الرب". لكن المسيح لم يلجأ إلى نفس الأسلوب، ولم يشر إلى سلطة خارجة عنه بل كان يضع نفسه في علاقة الله بشعبه ولذلك تكلم باسمه وبسلطته الشخصية النهائية. ففي الإنجيل حسب متى حيث وردت موعظة السيد المسيح على الجبل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تكلم له المجد بمكانة المشرع المتسلط. وقد ذكر المسيح أوامره مراراً وتكراراً على أساس أنها جزء من شريعة الله وقال "سمعتم أنه قيل.... وأما أنا فأقول...".

اعتبر المسيح المضطهدين لأجله معادلين للأنبياء الذين اضطهدوا في سبيل الله (متى ٥: ١١و١٢)، وكذلك أعطى نفسه حق المشرع الأعلى الذي يسمح للبشر بالدخول في ملكوت السموات وقال: "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة.. فحينئذٍ أصرّح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (متى ٧: ٢١-٢٣). كشف البشير متى عن تفوّق المسيح على سائر معاصريه من علماء إسرائيل قائلاً: "فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة". وقد نسب المسيح لنفسه سلطة تفوق سائر الفرائض والشرائع المقدسة التي أوحى بها الله لشعبه. فدعى نفسه"... أعظم من الهيكل... ابن الإنسان هو رب السبت" (متى ١٢: ٦) و"السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول" (متى ٢٤: ٣٥).

لا شك إذاً أن المسيح عرّف عن نفسه لا كمن هو في حاجة إلى خلاص بل كمخلّص.... وليس كعضو في جماعة الإيمان (أي الكنيسة) بل كرأسها... ليس كمؤمن مثالي بل كمن هو موضوع إيمان جميع المؤمنين. وهو لم يصلّ فقط بل هو من ترفع إليه الصلاة. ثم أخيراً قدّم نفسه ليس معلماً للبشر فحسب بل ربّاً وسيّداً لهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ملاحق دراسية

١- المسيح بين نبوات العهد القديم وتحقيقات العهد الجديد.

الموضوع	النبوّة	التحقيق
من نسل المرأة	تكوين ٣: ١٥	لوقا ٢: ٧، غلاطية ٤: ٤، رؤيا ١٢: ٥
ذرية ابراهيم	تكوين ١٢: ٣، ١٨: ١٨	أعمال الرسل ٣: ٢٥،متى ١: ١،لوقا ٣: ٣٤
ذرية إسحق	تكوين ١٧: ١٩	متى ١: ٢، لوقا ٣: ٣٤
ذرية يعقوب	تكوين ٢٨: ١٤،عدد ٢٤: ١٧	متى ١: ٢ ، لوقا ٣: ٣٤
من سبط يهوذا	تكوين ٤٩: ١٠	متى ١: ٢و٣، لوقا ٣: ٣٣
يولد في بيت لحم	ميخا ٥: ٢	متى ٢: ١، لوقا ٢: ٤-٧
زمان ميلاده	دانيال ٩: ٢٥	لوقا ٢: ١-٧
مولود من عذراء	أشعياء ٧: ١٤	متى ١: ١٨، لوقا ١: ٢٦-٣٥
ذبح الأطفال	أرمياء ٣١: ١٥	متى ٢: ١٦-١٨
هروبه إلى مصر	هوشع ١١: ١	متى ٢: ١٤و١٥
خدمته في الجليل	أشعياء ٩: ١-٢	متى ٤: ١٢-١٦
يكون نبيّاً	تثنية ١٨: ١٥	يوحنا ١: ٤٥، ٦: ١٤
		أعمال الرسل ٣: ١٩- ٢٦
يكون كاهناً مثل ملكي صادق	مزمور ١١٠: ٤	عبرانيين ٥: ٥و٦، ٦: ٢٠، ٧: ١٥-١٧
رفض اليهود له	أشعياء ٥٣: ٣، مزمور ٢: ٢	لوقا ٤: ٢٩، ١٧: ٢٣،٢٥: ١٨ يوحنا ١: ١١، ٥: ٤٣
نموّه الروحي كصبي	أشعياء ١١: ٢-٤، مزمور ٤٥: ٧	لوقا ٢: ٥٢، ٤: ١٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

دخوله الانتصاري أشعياء ٦٢: ١١، زكريا ٩: ٩ متى ٢١: ١-١١، يوحنا ١٢: ١٢-١٤

إلى أورشليم /القدس

خيانة تلميذه له مزمور ٤١: ٩ متى ٢٦: ١٤-١٦، مرقس ١٤: ١٠ و٤٣-٤٥

بيعه بثلاثين من الفضة زكريا ١١: ١٢و١٣ متى ٢٦: ١٥و٢٧: ٣-١٠

إرجاع قطع الفضة زكريا ١١: ١٣ متى ٢٧: ٦-١٠

لشراء حقل

استبدال التلميذ مزمور ١٠٩: ٧و٨ أعمال الرسل ١: ١٦-٢٠

الخائن يهوذا

اتهام الشهود مزمور ٢٧: ١٢، ٣٥: ١١ متى ٢٦: ٦٠و٦١

الكذبة له

صمته أمام الاتهامات مزمور ٣٨: ١٣، أشعياء ٥٣: ٧ متى ٢٦: ٦٢و٦٣، ٢٧: ١٢-١٤

الباطلة

جلده والبصق عليه أشعياء ٥٠: ٦ مرقس ١٤: ٦٥، ١٥: ١٧، يوحنا ١٨: ٢٢ ١٩: ١-٣

مكروه بدون سبب مزمور ٦٩: ٤، ١٠٩: ٣-٥ يوحنا ١٥: ٢٣-٢٥

تألمه بالنيابة عن أشعياء ٥٣: ٤-١٢ متى ٨: ١٦و١٧، رومية ٤: ٢٥

الإنسان كورنثوس الأولى ١٥: ٣

صلبه مع مذنبين أشعياء ٥٣: ١-٢ متى ٢٧: ٣٨، مرقس ١٥: ٢٧و٢٨

لوقا ٢٣: ٣٣

ثقب يديه ورجليه مزمور ٢٢: ١٦، زكريا ١٢: ١٠ يوحنا ١٩: ٣٧، ٢٠: ٢٥-٢٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اهانته واحتقاره مزمور ٢٢: ٦-٨ متى ٢٧: ٣٩-٤٤، مرقس ١٥: ٢٩-٣٢ والاستهزاء به

إعطاؤه الخل والمر مزمور ٦٩: ٢١ متى ٢٧: ٣٤و٤٨، يوحنا ١٩: ٢٩ لري عطشه

الاستهزاء بروحانيته مزمور ٢٢: ٨ متى ٢٧: ٤٢

صلاته لأجل أعدائه مزمور ١٠٩: ٤، أشعياء ٥٣: ١٢ لوقا ٢٣: ٣٤

طعنه بالحربة في جنبه زكريا ١٢: ١٠ يوحنا ١٩: ٣٤

تقسيم ثيابه بالقرعة مزمور ٢٢: ١٨ مرقس ١٥: ٢٤، يوحنا ١٩: ٢٤

عظامه لا تتعرض خروج ١٢: ٤٦، مزمور ٣٤: ٢٠ يوحنا ١٩: ٣٣ لكسر

دفنه مع غني أشعياء ٥٣: ٩ متى ٢٧: ٥٧-٦٠

قيامته من الموت مزمور ١٦: ١٠ متى ٢٨: ٩، لوقا ٢٤: ٣٦-٤٨

صعوده مزمور ٦٩: ١٨ لوقا ٢٤: ٥٠و٥١، أعمال الرسل ١: ٩

كونه نور العالم أشعياء ٩: ٢ يوحنا ٨: ١٢

كونه الراعي الصالح مزمور ٢٣: ١-٦، أشعياء ٤٠: ١١ يوحنا ١٠: ١١

الراعي المضروب حزقيال ٣٤: ٥، زكريا ١٣: ٧ متى ٢٦: ٣١، مرقس ١٤: ٢٧ الذي تتشتت رعيته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢- المسيح في نبوة أشعياء

أولاً: مواصفات تاريخية

ولادته ٧: ١٤

عائلته ١١: ١

تكرسه ١١: ٢

ثانياً: مواصفات أخلاقية

حكمته ١١: ٢

وعيه الروحي ١١: ٣

عدالته ١١: ٤

برّه (قداسته) ١١: ٥

وداعته ٤٢: ٢و٣، ٥٣: ٧

صموده ٤٢: ٤

بهاؤه ٩: ٢، ٤٢: ٦

حنانه ومحبته ٥٣: ٤

تضحيته ٥٢: ١٤، ٥٣: ١٠

عصمته عن الخطأ ٥٣: ٩

عظمته ٥٣: ١٢

قوته الخلاصية ٥٣: ١١

ثالثاً: أسماؤه

الآتي ٦٣: ١

المبشّر الممسوح من الله ٦١: ١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذراع الرب ٥٣: ١

العبد الإلهي المختار ٤٢: ١

الملك العادل الحق ٣٢: ١

عمانوئيل (الله حلّ معنا) ٧: ١٤

الإله القدير ٩: ٦

الآب الأبدي ٩: ٦

أمير أو رئيس السلام ٩: ٦

رابعاً: مهمته الإلهية

نور يقضي على الظلام ٩: ٢

يقضي بالعدل على الظلم ١١: ٣

ينصف بؤساء الأرض ١١: ٤

يشرع بالحق ٤٢: ٤

المحرر للمأسورين ٤٢: ٧

يحمل أثقال الآخرين ٥٣: ٤

يشفي جراح الآخرين بآلامه ٥٣: ٥

يحمل خطايا الآخرين ٥٣: ٦

يشفع في المذنبين ٥٣: ١٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ترانيم مختارة

مع ملاك الله جند

-١-

مع ملاك الله جند لرعاة قد ظهر
حوله الأملاك تشدو بخلاص للبشر
في العلي لله مجد وعلى الأرض السلام
وله شكر وحمد وسرور للأنام

-٢-

اسمعوا لحن الثناء من جنود في علاه
بقياثير السماء سبّحوا الرب الإله
ولد اليوم المسيح مضجعاً في المذود
ملكه ملك صحيح دائم للأبد

-٣-

تاركا مجد علاه وترانيم الصفا
أشرقت شمس سناه بجناحيها الشفا
فهلّمي يا برايا وارفعي صوت المديح
هو ذا الماحي الخطايا ربنا الفادي المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هلّم بنا معشر المؤمنين

-١-

هلم بنا معشر المؤمنين إلى بيت لحم نسر منشدين
هناك لدى سيد العالمين لنسجد بحب له عابدين

-٢-

مليك الملائكة السرمدي من العرش جاء إلى المذود
برب المحبة فلنفتدي ونسجد بحب له عابدين

-٣-

جنود الأعالي أشيدوا المديح بكل احترام لذكر المسيح
فيملأ هذا الفضاء الفسيح ونحني الرؤوس له عابدين

-٤-

هو ابن الإله القدير الأحد وكلمته قد أتى في الجسد
ومن ملكه ثابت للأبد لنسجد بحب له عابدين

-٥-

لك الحمد يا حيّ يا سرمدي وشكر مدى الدهر لا ينفد
فأسنى العطايا ابنك الأوحد نقابلها بالثنا شاكرين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يا رب كم عانيت من

-١-

يا رب كم عانيت من أجلي أصناف العذاب
وفي البراري ربي كم قاسيت من حمل الصعاب

-٢-

عانيتها ولم تفه بكلمة تذمراً
تتم الغاية ال عظمى بإنقاذ الورى

-٣-

جربت يا فادي الورى فدست كل تجربة
وعدت منصوراً لنا مكّلاً بالغلبة

-٤-

دحرت إبليس وقد عرّفتنا معنى الحياة
أن ليس بالخبز فقط تحيا خليقة الله

-٥-

يا ربنا امنح نعمة نحيا بها على الدوام
ونجّنا من شرك ال عدوّ يا فادي الأنام

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أعد عليّ حديثاً

١ أعد عليّ حديثا يحلو لسمعي صداه
عن سيدي وحبيبي وغاسلي بدماه
عن جنده من تراءوا ورنّموا في الظلام
بمجد رب الأعالي وبشّروا بالسلام

٢ أعد عليّ حديث ال فادي الجيد الحبيب
واسرد وردد كلام ال سفر اللذيذ العجيب
عن سيد الكون لمّا وافى ديار الشقاء
وجال فيها مهانا مستهدفا للبلاء

٣ عن صومه في البراري معرضّا للتجارب
عن نصرة فاز فيها على العدو المحارب
عن كل كرب وضيق قاساه بين الأنام
عن صبره بثبات تجاه كل خصام

٤ أعد عليّ حديث ال فادي الحبيب الكريم
عن حبه وفداه لكل جان أثيم
وعن حنو ورفق بكل عان سقيم
عن كل فعل جميل أبداه نحو العموم

٥ أعد عليّ حديث ال فادي الذي مات عني
وقام بالمجد حتى أنال معه التبنّي
فذلك خير حديث يحلو لسمعي صداه
عن سيدي وحبيبي وغاسلي بدماه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يسوع نادى حينما

-١-

يسوع نادى حينما أذاقه العدو المنون
يا أبتاه اغفر لهم لجهلهم ما يفعلون

-٢-

لم يشكهم لكنه من أجلهم أجرى دماه
وكان فيهم شافعا يرفع للأب الصلاة

-٣-

قد ذاق فادي العنا عنّي وأصناف المحن
طوعاً لكي يغفر لي فينتهي كل حزن

-٤-

وهكذا كفّر عن خطيتي فوق الصليب
محتملاً بالصبر من جرّائها الموت الرهيب

-٥-

فيا لفرط جوده وحبه الخاطي الحزين
إذ خلّص الناس كما أعطاهم إرث البنين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أللصّ عندما دنت

-١-

أللصّ عندما دنت نهايـة الحيــاة
وخاف أن تفصله عن الرجا الوفاة
دعا الشفيع قائلاً في سـاعة الحزن
يا رب حينما تجي في ملكك اذكرني

-٢-

لا سمـة أبدت لـه أمجاد ذي الجـلال
ولا شعـاع أمــل يمحو دجى الأهوال
بل تاج شوك قد رأى والدم قـد همـى
ويـده معـلولـة والعين في الـسما

-٣-

فقال للصّ لـدى إظهاره الإيمـان
إنك ذا اليوم معي تكـون في الجنان
فيا له وعداً سـما للتّائب المؤمـن
ويا لهـا شفـاعة تمحو الدّجى المحزن

-٤-

مولاي هب لي حينما تختـم أيـامـي
سكناي فردوس الهنا في الموطن السامي
وحين يطبق الـردى جـفني فقـدّرني
لـكي أقول واثقـا يا ربّـي اذكرني

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إكليله مضفور

-١-

إكليله مضفور بالشوك من أجلي
يدمى به جبين فاق سنا النبل
قد وضعته أيد أثيمة للعار
تاجا لرأس الفادي ربّ السماء البار

-٢-

قواك تفنى حزنا بألم الصليب
دماك تجري طهرا للصّفح يا حبيب
آلامك العظيمة تخفّف الأثقال
وروحك الرحيمة تحيي بنا الآمال

-٣-

تحت الصليب أجثو لأرفع الصلاة
مخلّصي فداني بسفكه دماه
يسوع قد هداني في ظلمة الوجود
بصلبه أحياني ففزت بالخلود

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حين أرى صليب من

-١-

حين أرى صليب من قضى فحاز الانتصار
ربحي أرى خسارة وكل مجد الكون عار

-٢-

يا ربي لا تسمح بأن أفخر إلاّ بالصليب
مكرّسا نفسي وما أملك للفادي الحبيب

-٣-

من رأسه وكفّه وجنبه وقدمه
سالت ينابيع الشفا والحبّ أيضاً مع دمه

-٤-

أيّ دم زاك جرى كدمه الزاكي الثمين
وأيّ تاج مثل تا ج الشوك أحيا العالمين

-٥-

بما أكافي منقذي من سلطة الخطية
إلا بتكريسي له نفسي وكل قوتي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يا له يوماً سعيداً

-١-

يا له يوماً سعيداً فاق أيام الزمان
يا له صبحاً مجيداً فيه إعلان الأمان
فيه نور الحق لاحا منقذاً أسرى الظلام
فيه عرف الطيب فاحا ناشراً بشرى السلام

-٢-

إذ ملاك الرب دحرج ذلك الصخر العظيم
قام فادينا وفرّج همّ غاو وأثيم
حينما الأملاك نادت قام بكر الراقدين
فرقة الحرّاس عادت مثل موتى أجمعين

-٣-

بشّرتنا بالقيامة رسل فادينا الأمين
إنها أسمى علامة لرجاء المؤمنين
وبها الفادي استحقا كل مجد من أبيه
إنه في الآب حقّاً وكذاك الآب فيه

-٤-

مجمع الأبرار رنّم بأناشيد المديح
قد تسامى وتعظّم مجد فادينا المسيح
فلتشد كل الأنام شكر من مات وقام
بابتهاج وابتسام هاتفين للدوام

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com